دلالة الحكمة وبواعثها

فى شعر طرفة بن العبد

بقلم الدكتور/ عبد الماطى سيد حرب
الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد

دلالة الحكمة :

وردت كلمة الحكمة فى القرآن الكريم والحديث الشريف فى أكثر من موضع ، ومنها قوله تعالى : « ويعلمكم الكتاب والحكمة .. »(١) .

وقوله تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولو الألباب »(٢) .

وقوله تعالى : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل »(٣) .

وقوله تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله .. »(٤) .

فالآيات التى ذكرت كلمة الحكمة كثيرة(٥) ، ولا مجال لحصرها

---

(١) راجع سورة البقرة من الآية رقم ١٥١ .
(٢) سورة البقرة من الآية رقم ١٦٩ .
(٣) سورة آل عمران الآية رقم ٤٨ .
(٤) سورة لقمان آية ١٢ .
(٥) فمثلا سورة النساء آية رقم ٥٤ ، المائدة ١١٠ ، النحل ١٢٥

هنا ، وأما الأحاديث الشريفة فنذكر منها ما يتناسب مع المقام ، وهو هـذا الحديث : « ان من الشعر لحكمة ... »(٦) .

واذا نظرنا فى بعض التفاسير التى تعرضت لهذه اللفظة وجدنا الفخر الرازى يقول عند قوله تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ... » . « ... المراد من الحكمة اما العلم ، واما فعل الصواب ، يروى عن مقاتل أنه قال : تفسير الحكمة فى القرآن على أربعة أوجه :

أحدها : مواعظ القرآن ، قال تعالى فى سورة البقرة : « وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به (٢٣١) » يعنى مواعظ القرآن ، وفى سورة النساء (١١٣) « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة » ومثلها فى سورة آل عمران .

ثانيها : الحكمة بمعنى الفهم والعلم ، ومنه قوله تعالى : « وآتيناه الحكم صبيا » (مريم ١٢) . وفى سورة لقمان (١٢) « ولقد آتينا لقمان الحكمة ... » يعنى الفهم والعلم .

ثالثها : النبوة .

رابعها : القرآن بما فيه من عجائب الأسرار(٧) ...

ثم بعد ذلك يقول الرازى ــ رحمه الله ــ « .. وأما الحكمة بمعنى فعل الصواب فقيل فى أحدها : انها التخلق بأخلاق الله بقدر

---

(٦) انظر الحديث فى مسند الامام أحمد بن حنبل جـ ١ ص ٢٩٦ ، ٣٠٣ ، صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٩٤ وغيرها من كتب الحديث .

(٧) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للامام فخر الدين محمد الرازى جـ ٣ ص ٦٢٠ ط دار الغد العربى سنة ١٩٩٢م .

الطـــاقة البشرية ... واعلم أن الحـــكمة لا يمكن خروجها عن هـــذين المعنيين ، وذلك لأن كمال الانسان فى شـــيئين أن يعرف الحـــق لذاته والخير لأجل العمل به ...

قال أبو مسلم الحكمة فعـــله من الحكم وهى كالنحلة من النحل ، ورجل حكيم اذا كان ذا حجى ولب واصـــــابة رأى ، وهو فى هـــذا الموضوع فى معنى الفاعل ، ويقال أمر حكيم أى محكم وهو فعيل بمعنى مفعول ... »(٧) .

ثم يقول : « ... وبالنقل المتوارث ، ثبت أنه يستعمل لفظ حكيم فى غير الأنبياء ، فتكون الحكمة مغايرة للنبوة والقرآن ، بل هى مفسرة اما بمعرفة حقائق الأشـــياء أو بالاقـــدام على الأفعـــال الحســـنة الصائبة ... »(٨) .

وفى القرطبى « .. الحكمة مصدر من الاحكام ، وهو الاتقان فى قول أو فعل ... وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه ، فقيل للعـــلم حكمة ، لأنه يمتنع به ، وبه يعلم الامتناع من الســـفه ، وهو كل فعـــل قبيـــح ... »(٩) .

وجاء فى تفسير الشعراوى « الحـــكمة هى وضـــع الشىء فى موضعه ... اذن فهى دائرة بين الفعل والترك ... والحكمة أن تفعل الفعل الذى يحقق لك خيرا ، ويمنع عنك شرا ، وهى مأخوذة من الحكمة

---

(٨) راجع : تفسير الفخر الرازى ـ مرجع سابق جـ ٣ ص ٦٢٢ .

(٩) راجع : تفسير القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن الكريم جـ ٢ ص ص ١٢٥٢ ط دار الغد العربى سنة ١٩٩٦م .

(بفتح الحاء والكاف) أو الحديدة التى توضع فى فم الجواد لتحكم حركته فى السير والوقوف ، وتصبح كل حركة تؤدى الى الغرض منها ... »(١٠) .

وقد وقف حول هذا المعنى جل المفسرين الذين تعرضوا لتفسير هذه الآية الكريمة ، ولفظ كلمة الحكمة وردت فى مواضع متفرقة ، وبمعان مختلفة ، فى المصحف الشريف ، ولا داعى لسردها أو ذكر معانيها ومواضعها هنا ، ومن أراد المزيد فعليه أن يرجع الى كتب التفاسير وهى كثيرة .

أما الحكمة فى المعاجم اللغوية ، فقد جاءت أيضا بنفس المعنى لأن المفسرين اعتمدوا على هذه المعاجم فى شرح معانى المفردات ، خاصة المحدثين منهم ، فمثلا جاء فى لسان العرب ما نصه :

« .. والحكمة عبارة عن أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم .. وفى الحديث : ان من الشعر لحكما ، أى أن فى الشعر كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه ، وينهى عنهما ، قيل أراد بها المواعظ والأمثال التى ينتفع الناس بها »(١١) .

---

(١٠) راجع : تفسير الشعراوى ـ المجلد الأول ص ٦٦٣ ، ط أخبار اليوم ـ القاهرة سنة ١٩٩٦م .

(١١) راجع : لسان العرب لابن منظور مادة « حكم » ص ٩٥١ : ٩٥٤ ط دار المعارف .

وهـذا ما ينطبق على بعض الشعراء الذين ورد في شعرهم مثل هـذه المواعظ والأمثال التي تفيـد الآخرين في كل عصر مثل شاعرنا طرفة بن العبد وغيره أمثال : زهير بن أبي سلمى ولبيـد بن ربيعة ، وعدي بن زيد وغيرهم من الشـعراء في العصور المختلفـة ، ويقول صاحب اللسان : « والحكمة : العدل ، ورجل حكيم ، عدل حكيم ، وأحكم الأمر أتقنه ، وأحكمته التجارب .. والحكيم المتقن للأمور ... »(١٢) .

وجاء في المعجم الوجيز « ... الحـكمة العـلم والفقـه ... والفلسفة والعلة ، يقال : حكمة التشريع ، وما الحكمة في ذلك ، والكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه . ج حكم .. »(١٣) .

ولا تخرج كلمة الحكمة في بقية المعاجم اللغوية عن هـذه المعاني التي أشرنا اليها من قبل .

ـ أما دلالة الحكمة في كتب الأدب فهي لا تختلف عنها في كتب اللغة والمعاجم بالمعنى الذي يتناسب بهذا البحث فمثلا اذا نظرنا في كتـاب المعجم المفصـل في الأدب ، وهو يقتصر على شرح المفردات والمصطلحات الأدبية رأيناه يقول في هـذا الصدد : « شعر الحكمة : هو الذي ينظمه الشاعر وهدفه الموعظة والنصيحة ، وفي العادة يكون الشاعر الحكيم ذا موقف معين ، ونظرة في الحياة تدفعه الى بسـطها

---

(١٢) المرجع السابق ونفس الصفحات .

(١٣) راجع : المعجم الوجيز ـ مجمع اللغة العربية ـ مادة « حكم » ص ١٦٥ ط وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٩٠م مصر .

أمام غيره من الناس ، ومن المعانى التى يقدمها الحكيم : حكم فى الأخلاق ، وحكم فى المعاملة والتربية ... وقصيدة الحكمة لا تكون طويلة ... وشعر الحكمة موجود عند أغلب الأمم القديمة وكان الاغريق ينظمون شعرهم الحكمى كثيرا ... واشتهر العرب منذ الجاهلية بشعر الحكمة كطرفة بن العبد وزهير بن أبى سلمى ... »(١٤) .

وهذا المعنى الذى ذكره الكاتب ينطبق على شعر الحكمة ، أما كلمة الحكمة فقد شرحها فى موضع آخر من الكتاب نفسه فقال : « الحكمة لفظة مقتبسة من الحكم ، اشتهر بها العرب فى الجاهلية ، وجاءت فى القرآن الكريم . والشعر الحكمى موجود عند العرب ، ولكنه قليل بالنسبة الى غيره ، والحكمة تجربة وقع بها الناس فعرضها الحكماء نثرا والشعراء نظما ، ولقد استنتجوا من خلال تجاربهم واصطدامهم بأحداث المواقع حكما ترجموها كلاما بلاغيا ، وألبسوها أسلوبا فنيا ، وصبوها فى أشعارهم بايجاز وتماسك .

وترجع حكمة العرب الى شدة العقول ، ورجاحة الحلوم ، وهى ليست نتاج فلسفة ومنطق كما فعل اليونانيون ، بل نظرات وخبرات وقع بها المرء من غير أن يلونها بدين أو يقتبسها من كتب .. »(١٥) .

وجاء فى كتاب تاريخ الأدب العربى ما نصه « ... ذكر آراء

---

(١٤) راجع المعجم المفصل فى الأدب ، اعداد محمد التونجى ج ٢ ص ٥٥٥ ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٣ .

(١٥) المرجع السابق ، المعجم المفصل فى الأدب اعداد محمد التونجى ج ١ ص ٣٧٦ ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٣م .

صائبة تصدق فى الواقع ، أو توافق المنطق ، وتوجز نتائج الاختبار الطويل فى ألفاظ يسيرة ، وليس من الضرورى أن ترد الحكمة على لسان العلماء والأذكياء ، وأصحاب الاختبار فى الحياة فقط ، فقد جرت أقوال من الحكمة البالغة على ألسن نفر من الجهال والأقدام والمتعيذين ، وصغار السن ، ومن لا يكادون يبينون فى كلامهم »(١٦) .

وفى كتاب الأمثال « ... لفظ الحكمة يطلق على الكلمة الموجزة ذات الشهرة والذيوع بين الناس ، وأطلقوه على القطعة الأدبية التى تبلغ الفقرة أو الفقرتين من الكلام ، والتى تقص نبوءة من النبوءات ، أو تنزع منزع الأنشودة ، أو ترد قياسا ومقارنة لتفسير فكرة أو توضيح عبارة ... »(١٧) .

وهذا المعنى للحكمة يقودنا الى معنى آخر وهو « .. اذا تأملنا الحكمة الجاهلية وجدناها فى غالب الأحيان حكمة عملية ينصب اهتمامها على تنظيم الحياة البشرية ، فى الدنيا ، وتقديم النصح والعون للناس، لتنظيم أمورهم المعيشية والصحية ...

وقد استمد الحكيم العربى فى العصر الجاهلى حكمته من تجارب الحياة اليومية ، ومن التفكير الشخصى الفطرى ، وذلك لأن حياتهم

---

(١٦) راجع : تاريخ الأدب العربى « عمر فروخ » الأدب القديم ج ١ ص ٨١ ط بيروت .

(١٧) راجع الأمثال فى الأدب العربى د. عبد المجيد عابدين ص ٩ .

القبلية كانت تحتاج الى أناس يمتازون برجاحة العقل ، وعمق النظر ، ليفصلوا فى المنازعات التى كثيرا ما تثور بينهم ..»(١٨) .

وديوان الشعر الجاهلى حافل بالحكم التى تتضمن فهما دقيقا واعيا لخفايا النفس البشرية ، وما تطويه الأيام من العبر والعظات — بقدر فهمهم لها وتجاربهم فيها .

ومن هنا يقرأ قول طرفة بن العبد ، وهو المعنى بهذه الدراسة ، ولا ينفعل ؟ ! !

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود(١٩)

أو يسمع قوله أيضا :

قد يبعث الأمر العظيم صغيره
حتى تظل له الدماء تصبب
والاثم داء ليس يرجى برؤه
والبر برء ليس فيه معطب(٢٠)

ومن المعروف أن الحكمة تنقسم الى :

١ — حكمة نظرية ، والمقصود بها نظرة الشاعر الى القيم الانسانية المجردة ، وموقفه العقلى الخالص ازاء المعانى التى تحتاج دوما الى

---

(١٨) راجع الحكمة فى شعر المتنبى — يسرى محمد سلامة ص ١٨ .
(١٩) ديوان طرفة بن العبد ص ٥٧ ط دار صعب بيروت سنة ١٩٨٠م
(٢٠) المرجع السابق ص ٥٩ ، ٦٠ .

تفسير فى كل عصور البشرية ، فالعقل الانسانى يحاول منذ بدأ يفكر فى ايجاد فلسفة الموت ، الخير والشر ، البغض والحب ... الى آخر هـذه القائمة التى تدخل أحيانا فى عداد علم الأخلاق .

هـذا ولا نستطيع أن نفصل فصلا باتا وجازما بين الأخـلاق السائدة ، وبين الواقع المـادى للمجتمع ، أو بين القيمة النظرية والقيمة العملية ، اذ الواقـع يفرض نفسـه على المعنويات ، ولكن التجـربة الانسانية على مر العصور أثمرت لنا العديد من المعنويات التى لا يختلف الناس فى تفسيرها ، ولا ينكرون خيرها ان كانت خيرة ، أو شرها ان كانت شريرة ، كالخير والحب ... كل هـذه الأشياء كانت ثمرة تجربة طويلة للانسان عرف منها ما يضره وما يفيـده ، واحتفت الآداب فى شتى عصورها بهذه القيم السامية فعملت على غرسها فى نفوس الناس ، وتجميل الحياة بمعانيها العطرة ، وتهذيب الروح بابعاد تلك المعـانى الشريرة التى يخشى أن تغتال المعانى الطيبـة والقيم السـامية فى النفوس التى فطرت عليها .

وهـذه الأشياء التى حاولت غرسها الشعوب عن طريق الحكمة عبر العصور المتعاقبة لا يختلف عليها اثنان ، لأنها تصـدر عن الواقع البشرى الانسانى فى ظـرف معين ، وربما يحـدث هـذا لكثير من البشر وفى عصور مختلفة ، فمثلا الظلم أو الشر لا يختلف من عصر الى عصر ، وان اختلفت صوره وأسبابه .

٢ ــ الحكمة العمليـة : ويقصد بها : فلسفة الموقف وهى خاصة مشتركة بين الناس جميعا فى كل العصور وشتى البقاع ، فما من فرد

الا وله فلسفته الخاصة ، أو موقفه الخاص الذى يترجم الى فلسفة تجاه تجارب الحياة اليومية ، ومعاملات الناس الجادية ، وما يتولد عنها من حب أو كره ، وحزن وسرور ، وألم وأمل ، وقيم أخرى تتجدد وتنمو كلما كان الفرد أكثر احتكاكا بالمجتمع ، وكلما اتسعت دائرة علاقاته بالآخرين ، وهذا ما أثر فى نفسية طرفة بن العبد ، وجعل ذلك الشاب الذى لم يتجاوز من العمر الخمسة والعشرين عاما ينطق بمثل هذه الدرر التى مازال يكررها العقلاء من الناس منذ العصر الجاهلى الى ما شاء الله ، ويأخذون منها العبر .

فالحياة هى المهم العظيم ، والأولى للمفكر والحكيم والفيلسوف وأحرى بشاعر يجوب دروب الحياة ، وأعمامه يتآمرون عليه ويمنعونه حقه ، عيناه تتجولان بحثا عن آلامه وكيف يفارقها ، وحقه وكيف يرده ، وقد تسلح بنظره الاجتماعى الصائب ، ونظريته الخاصة التى جاءته نتيجة تجاربه الخصبة فى خضم هذه الحياة المليئة بالظلم والقهر له ولأمه — رغم صغر سنه — فكانت الحياة هى معلمه الأول ، وان كانت دروسها شديدة المرارة أحيانا على نفسه ، الا أنها تبقى وتعمق ، وكما يقول العقاد فى مطالعاته « .. والحق يجب أن يساء الظن .. »(٢١) .

و « يستخلص من ذلك كله أن الحكمة هى الكلام القائم على العلم — بالأمور — والموجه الى الصواب والسداد فى القول والعمل »(٢٢) .

---

(٢١) مطالعات فى الكتب والحياة الأستاذ / محمود عباس العقاد ص ٧٢ ط القاهرة سنة ١٣٤٣هـ .

(٢٢) فنون الأدب العربى ـ الحكم والأمثال اشتراك فى وضعها لجنة من أدباء الأقطار العربية ط دار المعارف .

وعلى أقل تقدير فى نظر قائله والبيئـــة التى قيل فيها ، وهكذا فالحكمة فلسفة الحياة الأولى ولها فى تاريخ الفكر أهمية كبرى لا يدركها الا من تعمق فى دراسة نفسية الشعوب ، ودراسة التطور الفـــكرى عنـــد البشر •

وأخيرا نقول : « ان الحكمة قول موجز صائب ، يأتى عن طريق التجارب الكثيرة ، والخبرات الطويلة ، والنظرات الدقيقة لأحوال الحياة وما يكتنفها من أسرار • فهى قول يدل على صدق ، وفيه ايجاز وبلاغة ، ويصدر عن تفكير منظم خبير صقلته التجارب وعركته الحياة • »(٢٣) •

بواعث الحـــكمة فى شـــعر طـــرفة :

جـــاء فى لســـان العرب فى مادة بعث « ••• بعثه يبعثه بعثا أرسله ••• ، والبعث فى كلام العرب على وجهين :

أحدهما : الارســـال ، كقوله تعـــالى : « ثم بعثنا من بعـــدهم موسى ••• » معناه أرسلنا • والبعث اثارة بارك أو قاعـــد • تقول : بعثت البعير فانبعث ، أى أثرته فثار ، •• وكل شىء أثرته فقد بعثتـــه •• وتبعث منى الشعر ، أى انبعث كأنه سال ••• »(٢٤) •

ومن خلال هذه المعانى يتضح أن كلمة « بواعث » تعنى الارسال والنشر فما الأسباب والدوافع التى جعلت طرفة يرسل هـــذه الحكمة

---

(٢٣) الأدب فى العصر الجاهلى د• عبد الرحمن عبد الحميد ص ٢١٦

(٢٤) لسان العرب لابن منظور ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ط دار المعارف •

ويذيعها فى شعره ، ويتعلق بها ويصرف نظره عن غيرها ؟ وكان بوسعه أن يسلك طريق اللهو والعربدة والغزل الفاضح كما فعل الشعراء أقرانه مثل امرى القيس وغيره ؟ ! خاصة اذا عرفنا أن طرفة كان متعلقا بملذات الحياة ، وأنه كان سكيرا ؟

هـذه البواعث التى جعلت منه شاعرا حكميا ، هى حياته التى قضاها فى تلك الجزيرة والتى يحكمها قانون القبيلة ... وحتى نكون على بينة من الأمر ونكشف غموض هـذه البواعث ونتعرف على هذه الأسباب والدوافع لابد لنا من معرفة شىء عن نشأة الشاعر وحياته ، فهى التى جعلته يرسل مثل هـذه الحكم الخالدة التى جاءت نتيجة لظروفه القاسية وظلم أعمامه له ولأمه فمن طرفة هـذا ؟ !

« هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، ... وينتهى نسبه الى جديلة بن أسد بن ربيعـة بن نزار بن معد بن عدنان ... »(٢٥) .

ويقال ان اسـمه عمرو بن العبـد البكرى ، وطـرفة لقب غلب عليـه »(٢٦) ، وهو ينتمى الى قبيلة بكر ، فيقال طرفة بن العبـد البكرى ، ومن شـعرائها الحارث بن حلـزة والمرقش الأكبر والمرقش الأصـغر .

---

(٢٥) شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها جمع الشنقيطى ص ٢٧ ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٣م .

(٢٦) أدباء العرب فى الجاهلية والاسلام ـ بطرس البستانى ص ١١٤ ط مارون عبود سنة ١٩٧٩م .

وقبل أن نسترسل فى سرد أخباره وحياته التى جعلته يتجه هذا الاتجاه ، نحدد شخصيته لتكون بمثابة المفتاح لهذه الشخصية ، يقول د٠ عبد المنعم خفاجى « طرفة صاحب شخصية واضحة فى شعره ، وصاحب مذهب واضح فى حياته ، وداعية من دعاة اللهو واللذة والعبث ، وشاب جمع الى فتوة الشباب وطيشه حكمة الشيوخ وتفكيرهم ٠٠٠ »(٢٧) ٠

ولد طرفة فى البحرين فى بيت كرم وغنى ، وقد اختلف الرواة فى السنة التى ولد فيها فلا « ٠٠ ندرى متى ولد طرفة على وجه التحديد وان كان قد أدرك عهد عمرو بن هند ملك الحيرة وأمر عمرو بقتله فى أوائل حكمه وقد حقق بعض المؤرخين ٠٠٠ أنه تولى عام ٥٦٢م ، واذا كان طرفة قد قتل فى مطلع حكمه فيكون تاريخ موته ٥٦٥م ، وان كان جورجى زيدان يذكر أن وفاته عام ٥٥٠م ٠٠»(٢٨) ٠

ومن المعروف من قول أخته الشاعرةأنه قتل فى سن السادسة والعشرين اذ تقول فيه :

عددنا له ستا وعشرين حجة
فلما توفاها استوى سيدا ضخما

---

(٢٧) أعلام الشعر الجاهلى ص ٤ د٠ خفاجى وط مكتبة الحسين التجارية أولى سنة ١٩٤٩م ٠

(٢٨) المرجع السابق ص ٨ ، وراجع تاريخ الآداب العربية جورجى زيدان ج ١ ٠

فجعنا به لمـــا رجونا ايـــابه
على خير حال لا وليـــدا ولا قحما

فاذن يكون ميلاده عام ٥٤٠م ، وتكون حيـــاته على الراجح من ٥٤٠ الى ٦٥٠م ، ويجعل الأستاذ هاشم ميلاده عام ٥٣٨م ، والرأيان متقاربان(٢٩) ...

ولا يعنينا تاريخ ميلاده الا بقدر تأثيره فى شعره ، وقـــد نشـــأ طرفة يتيما فى تلك البيئة القاسية بين أعمام ظلموه حقه ، وان كانت بيئته الخاصة فيها ثراء وغنى ، وهـــذه من الأسباب الرئيسة والبواعث الأولى التى جعلت الشاعر يتجه الى شعر الحكمة ، يقول أحد الباحثين « ولد فى البحرين ونشأ يتيم الأب فى بيت غنى ، كريم المحتـــد ، فانصرف الى اللهو والخمر والنساء فنفق عليها بغير حساب ، فضـــيق عليه أعمامه ، وأبوا أن يقسموا ماله ، وجاروا على أمه وردة أخـــت المتلمس الشاعر ، فظلموها حقها فهددهم طرفة بهذه الأبيات ، وهى من أوائل نظمـــه »(٣٠) :

ما تنظرون بحق وردة فيـــكم
صغر البنون ورهـــط وردة غيب

---

(٢٩) الأدب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى ص ٢٩٦ محمد هاشم، ديوان الخرنق بنت بدر ص ٣٢، ط دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٠ .

(٣٠) أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام ـ بطرس البستانى ص ١١٤ .

قـد يبعث الأمر العظيم صغيره
حتى تظل له الدمـاء تصـبب
والظلم فـرق بين حيى وائـل
بكر تسافيها المنيـايا تغلب(٣١)

وهكذا بدأت طفولة طرفة بمأساة فقـد ربى يتيما يعوزه حنـان الأب ومحبته ، ونشأ معذب النفس يشاهد بأم العين ألوان المظـالم يوقعها أعمامه به وبأمه وردة ويأبون أن يقسموا له ما خلفـه أبوه ... فيتفجر الشعر على لسانه وكأنه الثورة الحارقة »(٣٢) .

ومن البواعث أيضا على هـذا الشعر الحكمى نشأة طـرفة فى هـذه البيئة العامة من بلاده (البحرين) ، وتلك البيئة الخاصـة من أسرته وحسبها ، يجـول ببصره فى هـذه الفيـافى المترامية الفيـح ومشاهدها ويصعد فكره فى هذه الحياة البدوية وما خالطها من أفكار ومبادىء ليفهمها ويتمثلها(٣٣) ..

ومن البواعث كذلك وراثتـه مواهب الشـاعرية من تلك الأسرة وهـذا النسب من جهة الأب والأم فخاله المتلمس شاعر ، وعمه المرقش شاعر أيضا ، وأخته شاعرة ، وهى الخـرنق بنت بدر بن عفان وهى

---

(٣١) ديوان طرفة بن العبد ص ٧ .
(٣٢) ديوان طرفة ص ٧ تحقيق فوزى عطوى ط دار صعب بيروت .
(٣٣) أعلام الشعر الجاهلى د. خفاجى ص ٩ ط مكتبة الحسين التجارية سنة ١٩٤٩م .

أختـــه لأمه (٣٤) .

فهذه الأسرة الشاعرة التى نشأ فيهـــا طـــرفة قـــد ساعدته على قرض الشعر وهو فى سن مبـــكرة ، والشـــاعر ليس كغيره من الناس ولكنه يتمتع بحس مرهف ، وعاطفة فياضة ، ونظرة ثاقبة تزن الأمور والأشياء بميزان حساس ، وينظر اليهـــا بغير عيون الآخـــرين التى يشاهدونها معـــه .

ومن البواعث أيضا تلك الحادثة التى أثرت فى سلوكه وحياته ، عنـــدما أنفق ماله على الملذات ، ولم يلتزم طرفة بما أملته عليه عشيرته ، فسخطت عليـــه وأبعدته ابعاد البعير الأجرب على حـــد قوله :

وما زال تشرابى الخمور ولذتى
وبيعى وانفاقى طـــريفى ومتلدى
الى أن تحامتنى العشيرة كلها
وأفردت افراد البعير المعبـــد (٣٥)

---

(٣٤) المرجع الســـابق ص ٢٥ بتصرف ، والخرنق هـــذه أخته لأمه توفيت عام ٥٧٠م وكانت شـــاعرة بليغة ، ولها أشعار فى أخيها وزوجها لم يصـــلنا منهـــا الا القليل ، وقد طبعت أخبارها وأشعارها فى كتاب « شعراء النصرانية » لويس شيخو جـ ١ ص ٣٢١ ، ولها أخبار فى خزانة الأدب للبغدادى جـ ٢ ص ٣٠٦ ، ولها ترجمة فى تاريخ أدب اللغة العربية ـ جورجى زيدان جـ ١ ص ١٤٩ .

(٣٥) راجع ديوان طرفة بن العبد ص ٤٥ ط فوزى عطوى المحامى ط دار صعب بيروت سنة ١٩٨٠م .

فهذا الطرد وذلك الابعاد جعل من الشاب المستهتر والذى لا يعبأ بالأمور ولا يقيم وزنا للاشياء ولا يفكر فى العواقب ، شـــابا حكيما ينظر بعين الواقع ، ويخوض معترك الحياة « فطاف فى كل مكان مغنيا وقته فى الغزو والتجول بين القبائل الا أنه عاد أخيرا الى قبيلته(٣٦) .

يقول أحد الباحثين « طرفة بن العبد ... هو الشاب الذى انهالت عليـه المصائب فأبرزت شخصيته ، وأنطقته بالحـكمة التى نثرها فى ديوانه ، فـكانت مصبوغة بصبغة الوعى والحنكة ، ومدار حكمته على زوال الحياة واصطناع الخير ، ثم على حسن المعـاملة وعلى التصرف بعقل وفطنـة ... »(٣٧) .

هـذه بعض الدوافع والبواعث التى جعلت طرفة من شـــعراء الحكمة « وبلغ مع حداثة سنه مالم يبلغ القوم مع طول أعمارهم »(٣٨) وقد أشار د. خفاجى الى أسباب شاعريته وأوجزها فقال « كانت كل الظروف تعمل عملها فى خلق شاعرية طرفة وتكوينها :

١ ـ فالصحراء تغذى الخيال وتثير العاطفة والشـعور ، وتلهم

---

(٣٦) طرفة بن العبد سيرته وشعره ، اعداد حسن جعفر ص ٣٢ ، ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٦٠

(٣٧) الحكم والأمثال اشـترك فى وصـفها لجنة من أدباء الأقطار العربية ص ٢٦ ط دار المعارف .

(٣٨) شعراء النصرانية قبل الاسلام ـ لويس شيخو ج ١ ص ٢٩٨ ط دار المشرق . بيروت .

الناس بآيات الشاعرية وموهبتها ، فضلا عن مشاهدها المنوعة التى تثير المشاعر والملكات .

٢ ــ أسرة الشاعر بما كان فيها من أعلام فى الشعر جعلته يرث هذه المواهب الفنية .

٣ ــ مجد طرفة وحسبه أنطقاه وألهماه القول والبيان ...

٤ ــ يتمه أليس هو الذى أثار فيه بواعث الشعر وأسبابه الأولى ، وأمده بهذه العاطفة المتأججة المشتعلة ، وتلك الملكة القوية الحادة ؟ .

٥ ــ رحلة الشاعر فى البلاد ما بين اليمامة واليمن والحبشة والحيرة وبعض أرجاء البلاد العربية أمدته بمدد لا ينفد ، وبثروة فنية وفكرية واسعة ، مما ظهر فى شعر الشاعر وأفكاره وآرائه وحكمته .

٦ ــ الخصومات العنيفة بين قومه وخصومهم من تغلب وسواها ، وبين الشاعر ومعاصريه : كابن عمه عبد عمرو وكعمرو بن هند ملك الحيرة وسواهما ، هذه الخصومات هى التى أججت شاعريته وأحكمت فنه .

٧ ــ يضاف الى ذلك فطرة الشاعر وخلقه وصفاته ، من حدة الذهن واضطرام الشعور ، وثوران العواطف والتهاب المشاعر الى ما سوى ذلك من أسباب الشعر وبواعثه فى نفس الشاعر .. »(٣٩) .

---

(٣٩) أعلام الشعر الجاهلى د. عبد المنعم خفاجى ص ٢٥ ، ٣٦ مرجع سابق .

هـذه الأسباب والبواعث جعلت من هذا الحدث الذى لم يتجاوز عمره خمسة وعشرين ربيعا شاعرا لاتزال الأجيال المتعاقبة على ما بينها وبينه ، تروى شعره وينشده الناس فى المجامع ، ويستشهد به أرباب اللغـة .. وقد قال طرفة الشعر فى فنون كثيرة من فخر وغزل وهجاء ومدح ووصف ، ومعلقته المشهورة فاقت ما قاله الكثير من الشعراء ، فهو أشعر الناس طويلة (واحـدة)(٤٠) .

وفى هـذا البحث لا نتكلم عن الأغراض الشعرية عنـد طـرفة ابن العبد ، ولكننا ـ كما هو واضح من عنوانه ـ نتكلم عن الحـكمة فى شعره ، وهـذا اتجاه جـدير بالدراسة ، لأن الحكمة خاصـة فى الشعر لا تصدر الا عن رجل مسن ، قد بلغ من الكبر عتيا ، مثل زهير ابن أبى سلمى ولبيـد بن ربيعة العامرى ، وأكثم بن صيفى ، وعدى ابن زيد وغيرهم من الحكماء المشهورين فى العصر الجاهلى ، .. أما أن تأتى الحكمة على لسان حدث وشاب صغير مثل طرفة ، فذلك هو المستحق للدراسة والنظر ، لأنه يدل على ذكاء الشاعر وقوة احساسه ، ودقـة شعوره فى وقت مبكر الى حـد جعله يتفهم الأمور بعقلية الشيوخ ، وأيضا تلك الأحداث التى مر بها هى التى جعلت منـه الشاعر الحكيم الذى ينظر الى الدنيا نظرة ثاقبة يعرف من خلالها كل ما يجب أن يعرفه الرجال ، ومما يدل على تلك النظرة الثاقبة هـذه الرواية التى تقول : « ان خاله جرير بن عبد المسيح الملقب بالمتلمس كان ينشـد مرة فى

---

(٤٠) راجع : طبقات ابن سلام تحقيق طه أحمد ابراهيم ص ٥٨ . ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٨م .

مجلس لبنى قيس شعرا فى وصف جمل ، وطرفة ــ هــذا ــ يلعب مع الصبيان قرب المجلس ، ويصغى الى ما يقوله خاله ، فلما قال المتلمس :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج علــيه الصيعرية مكدم

صاح طرفة : استنوق الجمل ؟ ! فذهب قوله مثلا فى التخليط ، ودعاه خاله اليه ، وقال له : أخرج لسانك فأخرجه ، فاذا هو أسود ، فقال وهو يشير الى رأس طرفة ولسانه : ويل لهــذا من هــذا ، وقد صدقت النبوءة ، فمات قتيلا فى البحرين »(٤١) .

ونرى أن منشأ هــذا الذوق والحس المرهف عنــد طرفة بن العبد قــد انحصر فى حيز معين ، وتركز على شىء جزئى خاص به ، وهو رد الظلم عنــه ، ورجوع حقه وحق أمه اليــه ، وأيضا حياة العــزة والكرامة ، بدلا من عيشة العبيد والمتمثلة فى رعاية الابل لأخيــــه معبــد ....

ومن ثم استطاع أن ينفذ الى باطنه ، وأن يكشف عن خفاياه ، فأتى فى شعره بالمعانى الدقيقة المختلفة ، وبصوره الحيــة الناطقة ،

---

(٤١) طرفة بن العبد سيرته وشعره ، حسن جعفر ص ٣٦ ط دار دار الكتب العلمية بيروت لبنان وراجع فى هذه القصة : الموشح للمرزبانى ص ٧٦ وما بعدها ، فى النقد الأدبى عند العرب .

د. محمد طاهر درويش ص ٦٩ ط دار المعارف ، دراسات فى نقد الأدب العربى من الجاهلية الى القرن الثالث الهجرى .

د. بدوى طبانة ص ٥٦ ، ٥٧ ط دار الثقــافة بيروت ، وغيرها ممن ذكر هذا الخبر عن طرفة وخاله .

وهـذا التركيز على جزئيات بعينها فى الحياة أعانه على استنباط الحكم القصار ، وبعض الأمثال الثائرة فى شعره •

وأرى أن هـذه الخصوصية فى عقلية طرفة البدوية ، والعيشة القاسية التى عاشها بعدما أنفق ماله ، من الأسرار التى أعانته على بث هـذه الحكم ، وما فيها من جمال سيظل الى ما شاء الله تعالى ، نأخذ منه ونتحدث عنـه ، وهـذا خلود الأدب الرفيـع الذى تستجيب له الطبائع السليمة على مر العصور ، وان بعدت بينهم الأزمان •

نماذج من شعر الحكمة عنـد طرفة بن العبد :

« وهى كثيرة فى شعر طرفة ، عميقة رائعة تدل على صدق النظرة وقوة الفراسة ، وعلى ثقوب الذهن ، وحدة التفكير ، وهى مبكرة فى طرفة الشاب ، ولعل أسفاره ورحلاته ، وبيئته وقربه من ألوان الحياة ، والتفكير فى الحيرة ، قـد نمتها فيه رغم صغر سنه ، ومعلقة طـرفة فيها الكثير من الحكم »(٤٢) •

وحكمة طرفة ثمرة تأمل بعيـد المرامى ، ونتيجة تجربة قصـيرة خاضها فى الحياة ، وقد وردت عدة قصائد حكمية فى ديوانه ، تكشف عن نظرة عميقة بالكون والوجود ، وتثبت أن الومضـات الحكمية فى الشعراء لا تصنعها الأعمار الطويلة فقط ، بل تصنعها الظروف النفسية

---

(٤٢) أعلام الشعر فى العصر الجاهلى د• خفاجى ص ٣٣ ، ٣٤ •

والأزمات الحياتية والاجتماعية(٤٣) ، وهـذا ما جعلنى أكتب فى هذا الموضـوع ، وأفضل طـرفة عن غيره من الشـعراء الحـكماء فى العصر الجـاهلى .

ومن الجدير بالذكر هنا أن مدار حكمته على زوال الحيـاة واصطناع الخير ثم على حسن المعاملة وعلى التصرف بعقل وفطنـة ، فالحياة مهما طالت سريعة الزوال ، والأعمال هى التى تحاسب الانسان فى آخر الحياة ، والشاهد على زوال الحياة ـ فى رأى طرفة ـ ذهاب لقمان بن عاد الطويل الأيام ، والأسكندر ذى القرنين الشديد الحسام ، وأحسن زاد يتزوده الانسان هو الخير والخير وحده(٤٤) .

يقول طرفة حول هـذا المعنى فى مقطعه تحت عنوان « للصعب أسـباب » :

فكيف يرجى المـرء دهرا مخلدا
وأعماله عما قليـل تحاسـبه
ألم تر لقمان بن عـاد تتابعت
عليـه النسور ثم غابت كواكبـه
وللصعب أسـباب تجل خطوبها
أقام زمانا ثم بانت مطالبـه

---

(٤٣) طرفة بن العبد سيرته وشعره ، حسن جعفر نور الدين ص ٧٤ ط دار الكتب العلمية بيروت .

(٤٤) الحكم والأمثـال ـ لجنة من أدباء الأقطار العربية ص ٢٦ ط دار المعارف .

اذا الصعب ذو القرنين أرخى لواءه
الى مالك سماه قامت نوادبـــه
يسير بوجه الحتف والعيش جمعه
وتمضى على وجـــه البلاد كتائبه(٤٥)

واذا نظرنا الى هـــذه الأبيات رأيناها تحمل رأيا فرديا لصاحبها ، فكل بيت مستقل بحكمته لا يتصل بغيره الا قليلا ، وكذلك يغلب عليهـــا الأسلوب الخطابى بمـــا فيـــه من أمـــر أو استفهام ، وضرب للمثل الثائر ، ومالت الى حقيقة التاريخ أو اشتبهت بها ، فهى مواعظ مجردة يقصد منها النصح والارشاد ، فالمرء مهما طالت أيامه سيفنى ولا يخلد وتبقى أعماله التى يحاسب من خلالها ، ويقصد بذلك الذكرى الطيبـــة أو السيئة التى يتركها الانسان بعـــده فى الدنيا ، والنظرة الاسلامية تعطينا معنى آخـــر وهو الحساب يوم القيامة « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ••• » الآية •

وقوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »(٤٦) •

والآيات التى تحدثت عن الحساب كثـــيرة ، تبشر الذين يعملون الصالحات بالثواب ، وتنذر الذين يعملون السيئات بالعقاب فى الدنيا والآخرة « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة

---

(٤٥) ديوان طرفة بن العبـــد ص ٦١ تحقيـــق فوزى عطوى ط دار صعب بيروت •

(٤٦) سورة الزلزلة رقم ٧ ، ٨ •

طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ٠٠ »(٤٧) ، حياة طيبة فى الدنيا ، والجزاء الحسن فى الآخرة ٠

وفى البيت الثانى يذكر طرفة دليلا من التاريخ ، وهـذا يدل على ثقافته بأخبار السابقين وهو مهما طال عمر الانسان فلابد من رحيله الى حيث رحلوا ، ولابد من موته كما ماتوا ، ويسوقه بصيغة الاستفهام القاطع الذى لا يستطيع أن يشك فى خبره أحـد ، ولذلك استعمل الفعل الماضى المجزوم (تر) وكان بوسعه أن يأتى بدلا منه بالعلم (ألم تعلم) ولكنه جـاء بها لتكون مقررة وكأنها مشاهدة بالعين ، كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ فى حادثة الفيل « ألم تر كيف فعل ربك بأصـحاب الفيل ٠٠٠ »(٤٨) ، وكانت الحادثة فى عام ميلاده ﷺ ٠

ولقمان بن عاد هـذا يضرب به المثل فى طول العمر ، وأنه عاش عمر سبعة أنسر ثم مات وكان آخرها يسمى بليد ، وقد ذكره الشعراء فى شعرهم فقال النابغة :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا
أخنى عليها الذى أخنى على لبد(٤٩)

---

(٤٧) سورة النحل الآية رقم ٩٧ ٠
(٤٨) سورة الفيل رقم ١ ٠
(٤٩) راجع ديوان النـابغة الذبيانى ص ١٠ شرح وتقديم عباس عبد الساتر ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ٨٦ ٠

والقصة معروفة فى الكتب ولا داعى لسردها هنا حتى لا يطول الحديث .

وبعد أن ذكر لقمان بن عاد يجوس خلال التاريخ ويأتى لنا بدليل آخر على حقيقة الموت والفناء ، فيذكر لنا ذا القرنين الذى ملك الدنيا بما عليها ، ومضت جيوشه وكتائبه تجوب الآفاق شرقا وغربا ، ولكنه لقى حتفه فلم تغن عنه الأموال أو الجيوش شيئا ولم تستطع الدنيا بأسرها أن ترد عنه ملك الموت ، وهكذا يذكر طرفة القضية ويأتى لها بالدليل من الواقع والتاريخ ليضع السامع أمام قضية مسلمة لا ينكرها العقل البشرى .

وأرى أن طرفة يذكر الموت وأحوال الماضين ليقول لأعمامه وعن ظلمة انكم ستموتون مهما طالت أعماركم والمال لا يغنى عنكم شيئا وستتركونه وراءكم فلماذا الظلم والطغيان ؟ انها نظرة الضعيف المسلوب ، أو المقدر لعواقب الأمور والحكيم المجرب للأشياء .

يقول أحد الباحثين « وتستوقفنا ظاهرة غريبة فى آرائهم ، وهى اسرافهم فى الكلام على الموت والدهر الذى يبلى الحياة ، ويفرق بين الأهل والأصحاب ، فأكثر شعرهم يشتمل على شكوى الزمان وصروفه وتقلباته ، ويتراءى فيه شبح الموت ماثلا نصب عين الشاعر ، يبعث القلق فى صدره ، لاستغلاق غده ، وغموض مصير النفس عليه ، فيحمله على اليأس والسأم والاستسلام الى القدر أو على اقتحام المخاطر واغاثة المعوزين وذوى الحاجات ، طلبا لحسن الأحدوثة ...

مادام المرء غير مخلد ..»(٥٠) .

واذا نظرنا فى ديوان طرفة رأينا ألوانا من الحكم التى توقفنا على ما تحدثه الأيام وتصرف الدهر وتقلباته ، قد جرت على لسان من يفكر فى تلك الحياة وصروفها وشدائدها ، تفكير من جربها وأحس مرارتها ووقعها على النفس ، فمثلا : يشير الى الظلم وعواقبه الوخيمة ، وما يجره من تفريق بين الأهل والعشيرة ، وما يلجىء اليه من ركوب الصعب من الأمور ، ثم يشير الى الاثم والبر والى الصدق والكذب ، والى المتصفين بكل ذلك ، واسمعه يقول :

والظلم فرق بين حيى وائل
بكر تساقيها المنايا تغلب
قد يورد الظلم المبين آجنا
ملحا يخالط بالذعاق ويقشب
وقراف من لا يستفيق دعارة
يعدى كما يعدى الصحيح الأجرب
والاثم داء ليس يرجى برؤه
والبر برء ، ليس فيه معطب
والصدق يألفه الكريم المرتجى
والكذب يألفه الدنىء الأخيب

---

(٥٠) أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام ـ بطرس البستانى ص ٨٢ ط دار مارون عبود سنة ١٩٧٩م .

ولقـــد بـــدا لى أنه سيغولنى
ما غال « عادا » والقرون فأشعبوا
أدوا الحقوق تقر لكم أعراضكم
ان الكريم اذا يحرب يغضب(٥١)

انها مرارة الظلم التى ذاقها طرفة من أعمامه ، فعبر عنها بمثل هـــذه الحكمة الرائعة ليردع الآخرين عنـــه فى كل عصر وفى كل مكان ، فهو لا يختلف وان تعددت وسائله ، واختلفت طرقه فنتيجته واحدة ، وهى الفرقة بعـــد الألفة وجمع الكلمة ، وقطع الأرحام بعـــد أن كانت موصولة ، والدمار والخراب بعـــد الخير والفلاح ... وانظر ماذا فعل الظلم بين الأقارب وأبناء العمومة ، بين أهل الحى الواحد بكر وتغلب ، عندما ظلم كليب وطغى على أبناء قبيلته ، لقى حتفه على يد جســـاس ابن عمه وخال ولده لأنه كان متزوجا جليـــلة بنت مرة أخت جســـاس القاتل ، فتفرقت الكلمة ، وأصبحت القبيلة الواحدة قبيلتين ، ودارت رحى الحرب بينهما ، وعلى ما يروى أربعين ســـنة بين بكر وتغلب قتل فيها الكثير من أشراف القوم وصفوة شجعانهم ، ولولا هـــذا الظـــلم

---

(٥١) ديوان طرفة بن العبد ص ٥٩ ، ٦٠ مرجع سابق مفردات : حيى وائل المقصود بهما : بكر وتغلب ، المنايا : الموت أو الدمار ، المبين : الظاهر ، الشديد آحبا : الفاسد كريه الرائحة ، الذعاف : السم القاتل لسرعته ، يقشب : يخلط ويقراف ، وفى رواية وقراب أى قريب . غاله بقوله : أهلكه ، أشـــعبوا : ماتوا وتفرقوا . يحرب : بتشـــديد الراء يسلب ويأخذ ماله غصبا .

البين لما وقعت مثل هذه الحرب ، وما صاحبها من ضياع وقتل لأبناء الحى الواحد والقبيلة الواحدة .

فمعاشرة الظالمين ومخالطة الجبناء لابد من الاقلاع عنها حتى لا تعدى من يقترب منهم كالجمل الأجرب الذى يجب عزله عن بقية الابل الصحيحة لتسلم منه .

ويطرح الشاعر قضية أخلاقية ، وحكمة لا تقبل المناقشة فهى مسلم بها من الواقع المعاش ، انها قضية الاثم والبر ، الخير والشر ، فالاثم داء مرض عضال اذا تغلغل فى جسم الانسان لا يرجى شفاؤه وأصبح مرضا خبيثا ، ومزمنا وعلاجه الوحيد هو البتر واستئصال ذلك الشخص من الحياة .

أما البر والخير اذا تخلق بهما الانسان فانه يصبح معافى سليما من العطب والأذى ، فالبر شفاء ليس فيه مرض للنفس أو للغير ، والخير يحب الآخرين حتى وان عاد عليه ببعض الضرر .

ثم يطرح الشاعر قضية مهمة أيضا ، وهى مزدوجة ، وفيها مقابلة كما كانت الأولى بين الاثم والبر ، فكذلك الثانية بين الصدق والكذب ، ولكن أى صدق وأى كذب يعنيه الشاعر ؟ الصدق والكذب مع النفس يجوز مع الآخرين يجوز أيضا ، الصدق والكذب فى الأقوال ، فى الأفعال ... كل ذلك يسوغه ويحتمله التعبير المذكور ، فالصدق لا يألفه ويحبه الا كل كريم مع نفسه ، مع غيره ، فى قوله وفعله لأنه يرجو حسن الأحدوثة أو منفعة غيره ، أما الكذب مع النفس ومع الناس ، فى القول أو الفعل ، لا يألفه ويتخلق به الا كل دنىء وسافل » .

ويعرج الشاعر على قضية الموت التى دارت معظم حكمه حولها ، فيقول : نقد اتضح لى بعد عراكى الحياة ونظرتى الثاقبة ومشاهدتى لمن يموت من حولى ، أو عندما سمعت بأخبار الماضين من قبلى ، أننى سأهلك وأموت كما هلك هؤلاء ، وفرقهم الدهر وأصبحوا ذكرى بعد حقيقة ، فالموت لا مفر منه .

ويأتى البيت الأخير ، وكأنه انذار لهؤلاء الظلمة وتهديد ووعيد لهم ، أو الثمرة من هذه الأبيات وتلك الحكم التى تضمنتها من خلال حديثه عن الظلم وما يجره من فناء وهلاك ، وعن الاثم الذى لا شفاء منه ، ولا دواء له ، والبر الذى لا يجنى صاحبه من ورائه الا كل خير وفلاح ، وعن الصدق والكذب وعن الموت واهلاكه القرون الأولى مثل عاد .. ، ويقول بصوت عال وبصيغة الأمر مخاطبا هؤلاء الظلمة « أدوا الحقوق » لأصحابها ولا تأكلوها ظلما ، وبذلك تسلم لكم أعراضكم من الدنس ، ونساؤكم من السبى وتصبح لكم الذكرى الطيبة . وكأنه يقول لا أترك حقى أبدا ، وأجعل من ظلمنى يتمتع به وهو آمن ، ولكنى سوف أقتل دونه ، والدليل على ذلك الشطرة الثانية من البيت ، وهى توجيه عام وشامل « ان الكريم اذا يحرب يغضب » والكريم الشجاع الذى يأبى الضيم والذل والمهانة فى كل زمان ومكان : اذا اغتصب حقه وسلب ماله يغضب ويثور ويقتل فى سبيل الوصول اليه ، انها حكمة طرفة العربى الذى عاش فى جو لا يحتكم الا الى السيف ، ولا تقدس فيه الا القوة وبدون أى اعتبار للأسباب التى تؤدى الى مثل هذه الغطرسة ، فكانت الحرب تنشأ بينهم لأتفه الأسباب ، ولذلك قال طرفة فى صدر هذه الأبيات تلك الحكمة التى لاتزال الأجيال ترددها وهى قوله :

قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى تظل له الدماء تصبب ! !

فالأمر العظيم والخطر الداهم ، والخراب ، قد يكون سببه تافها وصغيرا ولكنه أدى الى هـذه النتيجة السيئة ، وانظـر الى اختيـار الشاعر لهذا الأسلوب « تظل له الدماء تصبب » وكان يمكن أن يقول : تسيل مثلا أو تقطر ...

يقول بعض الباحثين حول هـذه المقطوعة : « فهذه الأبيات غنية بالحكم خصبة بالأمثال ، تذلق على لسان فتى صغير ، وتحمل فى طياتها ألمـا نفسيا مريرا ، انه صراع الحق ضد الباطل ، فالأمر الصـغير قد يكبر ويكبر حتى يصبح عظيما ، ونكبة ومأساة ان لم يعالج على الفور ، والظلم مرتعه وخيم ، وحصاده عداء وخصام ، والاثم داء لا شفاء منه أبدا ، والاحسان دواء ونعمة ، يفضى الى الحق والخير ، والصـدق رفيق الكرام ، أما الكذب فهو رفيق طـلاب السوء ، تلك هى القيـم الخالدة التى طلع علينا بها الشاعر ، وكأنه يخاطب بها مجتمع القـرن العشرين وما قبله وما بعـده ... »(٥٢) .

واسمع الشاعر وهو يصوغ لنا هـذه الحكمة عن الخير والشر ، وأنهما لا يتغيران أبدا مهما طالت الأيام ، وان اختلفت الصور وتنوعت الأساليب وتوالت القرون وتعاقبت الأجيال فيقول :

الخـير خـير ، وان طـال الزمان به
والشر أخبث ما أوعيت من زاد(٥٣)

---

(٥٢) راجع طرفة بن العبد سيرته وشعره ، حسن جعفر ص ٧٥ .
(٥٣) ديوان طرفة بن العبد ص ٧٠ .

فالخير بكل صوره وبكافة أنواعه ، وان طال الزمان ومرت عليه السنون ، لا يتغير ، ولا يأتى عليه زمان ، أو جيل فينقلب الى شر ، فلا يستطيع انسان أن يقول عن الصلاح انه فساد ، او عن البناء انه هدم ، فهذا منطق معكوس ، والشر كذلك لا يتغير ، وأخبث ما يجمع الانسان فى حياته هو الشر ، وان نفع صاحبه فى بعض الوقت ، فانه يضره فى جميع أوقاته ، بل فى ذريته ، فلابد من استئصاله ، وهناك صورة من صور ذلك الشر التى يذوق مرارتها الأبناء والذرية بدون جريرة ارتكبوها ، لأنها شر فهى زاد خبيث من فعل الآباء ، قضية الثأر ، وقد عالجها الشرع الحكيم بقوله تعالى : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون »(٥٤) .

وقد قال العرب فيها « القتل أنفى للقتل » فلو قتل القاتل ، واستؤصل الشر ، لما بقى هذا .

ومن حكم طرفة المبثوثة فى ديوانه تلك الأبيات التى وردت تحت عنوان « ما الأيام الا معارة » يقول طرفة :

اذا شاء يوما قاده بزمامه
ومن يك فى حبل المنية ينقد
اذا أنت لم تنفع بودك قربة
ولم ننك بالبؤسى عدوك فابعد
أرى الموت لا يرعى على ذى قرابة
وان كان فى الدنيا عزيزا بمقعد

---

(٥٤) سورة البقرة آية رقم ١٧٩ .

ولا خير فيمن خير ترى الشر دونه
ولا قائل يأتيك بعد التلدد
لعمرك ما الأيام الا معارة
فما اسطعت من معروفها فتزود
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى(٥٥)

ومن خلال النظر فى هذه الأبيات نقول : ان البيتين الأخيرين منها قد ذكرهما جامع الديوان فى المعلقة(٥٦) وأثبتهما هنا ، وهذا يرجع الى عدم الدقة فى الجمع ، لأنهما بنفس الألفاظ ونفس المعنى فلماذا التكرار ؟! وهذا كثير فى معظم الكتب القديمة ويجب على الباحثين والعلماء والنقاد أن يلتفتوا الى مثل هذا التكرار خاصة اذا كان منسوبا لشخص واحد ، وأن يغربلوا ذلك التراث وينقوه مما علق به أثناء الجمع أو الترتيب والتبويب .

والبيت الأول منها كذلك ورد فى المعلقة ولكنه باختلاف بعض الألفاظ فى تراكيبها وان كان المعنى واحدا فهو يقول فى المعلقة :

متى ما يشاء يقده لحتفه ومن يك فى حبل المنية ينقد(٥٧)

أما الأبيات الثلاثة الباقية فهى تحمل فى طياتها الحكمة العميقة والنظرة البعيدة فى الحياة وملابساتها ، وكأنه يخاطب من ظلمه من

---

(٥٥) ديوان طرفة ص ٦٩ .
(٥٦) السابق ص ٥٦ ، ٥٧ .
(٥٧) السابق ص ٤٩ .

أقربائه ، بل يخاطب كل قريب قائلا له اذا أنت لم تنفع بودك وخيرك القريب ويعم خيرك على أهل عشيرتك ، وتمنع عنهم الظلم بجـــاهك ومالك وقوتك ، ولم ننك بالبؤس » أى لم تقهر عدوك وتظهر عليـــه ، وهـــذا نفع لك ولقرابتك ، فابتعد عنا وأرحل بعيدا فانه لا خير فيك ، وهـــذا البيت يذكرنا بقول الشاعر فى هـــذا المعنى :

اذا أنت لم تنفـــع فضر فانما يرجى الفتى كيما يضر وينفع(٥٨)

ثم عاد طرفة الى الحديث عن الموت وعن مساواته بين الفقـــراء والأغنياء ، الأعزاء والأذلاء ، الأقوياء والضعفاء ، فملك الموت لا يعرف الوساطة ولا يرى القرابة فالخـــلائق أمامه سواء اذا صـــدر له الأمر الالهى ، وهذا يذكرنا بقول الله تعالى : « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون »(٥٩) .

فالأجل قد حـــدد ، والموت قد كتب على كل مخلوق ، فلا مناص منه ، ولا مفر من وقوعه ، مهما احتاط الانســـان ، وقـــد أدرك العربى بفطرته هـــذه الحقيقة ، وشاهدها بعينه ، فنـــراه يسلم لهـــا بدون نقاش ، وما قصه قس بن ساعدة التى روتها الأحـــاديث الصـــحيحة ، وجاءت فى كتب الأدب عندما كان يذكر الناس بالموت وبالحساب عنـــا ببعيدة ، واسمع الى زهير بن أبى سلمى وهو يقول :

---

(٥٨) ورد هذا البيت فى كتاب حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك جـ ٣ ص ٢٧٩ ط الحلبى .

(٥٩) سورة الأعراف من الآية رقم ٣٤ .

ومن هاب أسباب المنـــايا ينلنـــــه
ونو رام أسباب السماء بســلم(٦٠)

ثم يوقفنا طرفة على حقيقة أخرى ، وحكمة رائعـــة ، وهى الخير فى زعم الناس الذى يعقبه شر وندامة ، وأرى أن ما يسميه الشـــاعر بالخير هو الطمع وعدم القناعة بما فى يد الانسان ، فهو يريد أن يستولى على ما فى يد الآخرين ويرى فى هـــذا خيرا ، وهـــذه العـــادة كانت متفشية فعندما تجدب الأرض ويعم القحط فى قبيلة تسارع الى السيف والقـــوة مخافة الهلاك وتغير على قبيـــلة أخـــرى فتستولى على مائها وعشبها وأموالها وترى فى ذلك الخير الوفير ولكن سرعان ما تستعيد القبيلة المغلوبة قوتها ، وتعمل فى عدوها السيف ، وتسترد أرضـــها وأموالها وتهلك القبيلة الأولى ، وهنا يدرك العقلاء أن الخير الذى زعموه هو الشر فى الأصل ، فلخص طـــرفة هـــذه الحـــكمة • وقال اذا كان ما تزعمه خيرا فى بدايته ثم يعقبه شر ، فهو شر فلا تفرح به •

وكذلك لا خير فى قول الخصم مهما كان ، فهو لا ينسى ما كان بينك وبينه ، فهذا تحذير « احذر عدوك ، ولا تنظر الى وجهـــه الذى يضحك نفاقا ، ولا الى كلام المعسول ، فهو مهما كان عدوا قديما ، انه الحذر ، وسوء الظن من حسن الفطن ــ كما يقولون ــ خاصـــــة مع منطق ذلك العصر ــ الذى كان يقدس العصبية ولا ينسى ثأر القبيـــلة مهما تقادم العهد أو مرت السنون •

---

(٦٠) راجع ديوان زهير بن أبى سلمى ص ١١١ شرحه وقدم له حسن قاعور ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٩٨٨م •

ومن ثم دعا طرفة الى التخلق بالأخلاق الحسنة ومخالطة الناس بالحسنى ولا يكن الانسان مع اخوانه فاحشا غليظا كالكلب الذى يعوى على أحد ، ويبث الرعب فى قلوب الآخرين ، وفى الحقيقة لا يستطيع أن يفعل شيئا ، ولذلك قال طرفة فى موضع آخر :

خالط الناس بخلق واسع لا تكن كلبا على الناس تهر (٦١)

فالخير كل الخير الذى لا يعقبه ندم أو شر ، والنصيحة لابد أن تكون من صديق ، ومخالطة الناس تكون بالأخلاق الحسنة ، وتبتعد عن الأساليب الدنيئة .

وفى هـذا المعنى يقول لبيد بن ربيعة بعد اسلامه :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه القرين الصالح (*)

ومن الحكم الرائعة التى تصاح لكل زمان ومكان هـذه الأبيات التى قالها طرفة تحت عنوان « ذو الحق لا تنتقص حقه » .

اذا كنت فى حاجـة مرسـلا
فأرسل حـكيما ولا توصـه
وان ناصح منـك يوما دنـا
فـلا تنـأ عنـه ولا تقصـه
وان باب أمر عليـك التـوى
فشـاور لبيبـا ولا تعصـه

---

(٦١) ديوان طرفة ص ٩٣ .

(*) شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها للشنقيطى ص ٥٢ ط دار الكتب العلمية لبنان سنة ١٩٩٣ .

وذو الحـــق لا تنتقص حقـه
فـان القطيعـــة فى نقصـه
ولا تذكر الدهـــر فى مجلس
حديثـــا ، اذا أنت لم تحصـه
ونص الحـــديث الى أهـــله
فـان الوثيقـــة فى نصـــه
ولا تحرصن فـــرب امـــرىء
حريص مضـــاع على حرصـه
وكم من فتى ســـاقط عقـــله
وقد يعجب الناس من شـــخصه
وآخـــــر تحســـبه أنوكا
ويأتيـك بالأمـر من فصـــه
لبســـت الليـــالى فأفنيننى
وسربلنى الدهـــر فى قمصـه(٦٢)

انها أبيات تحمل فى طياتها فلسفة صاحبها الذى لبس الليـالى فأفنت عمره قصيرا ، وسربله الدهر فقتله شابا ، وهـذه النظرة العميقة للحياة والأحياء معا ، جاءت بعـد تجارب وخبرات سمعها الشاعر من غيره والأهم من ذلك أنه عايشها بل وعاشها وهو بعـد صغير السن ، وكذلك تلك القسوة التى لحقته من أعمامه فى يتمـه وفقـد والده ، وفقـد ماله ، هـذه المعايشة لمثل تلك التجارب والظروف جعلت طرفة يصوغ لنا مثل هـذه القوانين التى يجب أن يسير عليها أصحاب العقول الراجحة ويورثوها أبناءهم ، لأنها تصلح لكل من قست عليه الظروف ..

---

(٦٢) ديوان طرفة بن العبد ص ٩٤ ، ٩٥ ..

والأبيات فى جملتها نصائح وحكم ، صاغها طرفة تترجم عما فى داخله ، ونحس معه ونحن نقرأها بما يدور فى خلده وما وقع عليه من ظلم ، وان كان يصوغها فى قالب النصيحة وبعيدا عن الصياغة المباشرة والواضحة ، وقد استعمل من الألفاظ ما يدل على ذلك ومن هذه الألفاظ مثلا : « الدنو وهو القرب ، والنأى وهو البعد » فهذا يوضح العلاقة التى بينه وبين أقاربه ، هو يدنو ويقترب ، وهم يبعدون ، وقد نصحهم وطالبهم بحقه ولكنهم لم يلتفتوا اليه ، وسلبوه حقه ، وانظر الى مثل هذه التعبيرات : « النوى ، لا تنتقص حقه ، القطيعة ، لم تحصه ، حرص ومشتقاتها ، ساقط عقله ... الخ » .

فهذه الألفاظ تحمل بين طياتها : عدم الوضوح والتذبذب والنقيصة وظلم الآخرين ، وكذلك الحرص على ما ليس من حقه ، انها تجربة الشاعر التى عاشها بكل كيانه ، وبراعته فى أنه جعلنا نعيشها معه ، ونحس باحساسه ، وكأنه يتكلم بلساننا رغم البعد الزمنى الذى بيننا وبينه ، وهذا هو الأدب الحى الذى لا يفقد حيويته مهما تعاقبت عليه السنون ، وسيظل حيا ويحسه من يأتى بعدنا لأنه يمس المشاكل العامة التى تشترك فيها البشرية جمعاء ؟

ونعود الى الأبيات لنقف معها قليلا حتى نرى ما فيها من حكم ونصائح غالية فهو يبدأ بـ (اذا) الشرطية ثم الفعل والفاعل «كنت» وهو يستعمل هنا أسلوب الخطاب الذى يصلح لزمانه ولكل الأزمنة فى «حاجة مرسلا»،اذا وقعت فى مشكلة أيا كانت وأردت أن تحكم العقل فى حلها وأرسلت رسولا مفاوضا ، فلابد أن يكون موصوفا بالحكمة ، وهى وضع الأشياء فى موضعها ، « ولا توصه » اجعله يتكلم بلسانك لأنه

حكيم وقد اخترته من بين الناس ، فلا تملى عليه من الشروط ما يصرفه عنك ، أو يصرف الآخرين عنكما ، والا لماذا وصفه بالحكمة ، اذا يوصيه ؟

وعلى هذا لابد من اختيار الرسول الذى يتكلم بلسانك ، فالرسول دليل على من يرسله ، والأخبار الواردة عن ارسال الرسل الذين يتكلمون بلسان أمرائهم وأصدقائهم مع الأعداء والخصوم كثيرة ، وفى العرف السائد كان قتل الرسل انذار بالحرب والدمار ، خاصة فى أيام الفتوحات الاسلامية ، وحماية الثغور وأثناء المعارك •

وقد اتخذت فى العصر الحديث شكلا جديدا هو ما نسميه « بالدبلوماسية أو وزارة الخارجية ، أو الممثل الرسمى لرئيس الدولة أو ملك البلاد » ولابد أن تتوافر فيه الحنكة والفطنة والفهم البعيد للنظام السياسى على المستوى العالمى •

ثم يقول فى البيت الثانى « وان ناصح منك ••• الخ » انها قضية النصيحة الخالصة التى تعود على الشخص بالمنفعة ، حتى وان كانت شاقة على نفسه ، أو أن أثرها لا يظهر فى وقتها ، فهذا الناصح الأمين الذى يريد منفعتك بدون جزاء أو شكر ، ان اقترب منك ، فلا تبتعد عنه ، ولا تقصه بعيدا أو تضرب بنصيحته عرض الحائط ، فالثمرة لك وهو لا يستفيد ، وهذا خلق اسلامى ، بل هو الدين كما ورد ذلك عن سيدنا رسول الله ﷺ •

فعن أبى رقية تميم بن أوس الدارى — رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « الدين النصيحة (ثلاثا) قلنا لمن (يارسول الله) ؟ قال :

لله (عز وجل) ولكتابه ولرسوله (ﷺ) ولأئمة المسلمين وعامتهم — رواه مسلم(٦٣) .

فيجب على الشخص أن يقبل النصيحة من غيره ، وأن يشكره عليها ، أو على أقل تقدير لا يظهر الملل منه ، أو أنه أفضل منه ، لأن من ينصحك يرجو لك الخير ، والا لتركك كالآخرين وحتى لا تندرج مع الذين قال الله فيهم « واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد »(٦٤) . نعوذ بالله منها .

ثم نأتى الى الحكمة الثالثة ، وهى ان كانت هناك معضلة من المعضلات ، أو أغلق أمامك باب فيه خير لك ، وتعسرت حاجتك ، وتحير فكرك ، وأصبحت أمامها عاجزا ، ولا تجد لها حلا فماذا تصنع ؟

ان طرفة يقول لك هذه الحكمة الغالية : اطرح قضيتك ومشكلتك، وهذا الأمر المنتوى على العقلاء وأصحاب الرأى والمشورة فسيجدون لك الحل ، ولن تندم أبدا بشرط أن تنفذ ما يقولونه لك ، وأن تجعله نصب عينيك ، ولذلك قالوا : « ما خاب من استشار ... » .

وصاحب الحاجة أخرق أى مشلول التفكير ، خاصة اذا كان الأمر فجأة ، فصاحبه لا يجيد التفكير السليم بل يندفع ، وربما وقع فى

---

(٦٣) راجع : جامع العلوم والحكم تأليف أبى الفرج بن رجب الحنبلى ص ٦٧١ ط الدعوة بدون تاريخ .

(٦٤) سورة البقرة الآية رقم ٢٠٦ .

المحظور ، أما ذلك اللبيب العاقل الذى يشاوره الفرد ربما يكون قد وقع فى مثل هـذا الأمر المطروح أو مر عليـه ، وتعرف على اصلاحه ومن ثم يزوده بخبراته وتجاربه ، ويخرجه من هـذا المـأزق .

ونسير مع طرفة الذى لا يفتأ بذكر قضيته وظلم أعمامه له ، ولكنه هنا يغاير الأسلوب والتعبير فى طرحه لها ويختار لها أسلوب النهى ، ويخاطب به كل البشر الذين ينتقصون الحقوق « وذو الحق لا تنتقص حقـه .. » أيا كان صاحب هـذا الحق ، ضعيفا أو فقيرا ، قريبـا أو بعيـدا ... وعلل لهـذا السبب فقال : « فان القطيعة فى نقصـه ، فاذا أخذت حقوق الآخرين قاطعوك ، وابتعدوا عنك ، ان لم يستطيعوا قتالك ، فما بالك بالقريب الذى تنتقص حقـه ؟ ! » ، وقد صاغ طرفة هـذه المعانى بأسلوب سهل يستولى على القلوب لأنه يخص النـاس جميعـا .

ويطرح الشاعر هـذه القضية القديمة الجديدة فى وقت واحد ، والتى شغلت العلماء والأدباء خاصة ، والناس بجميع طبقاتهم عامة ، وهى قضية العلم والمعرفة ، وعدم السرقة والسطو على نتاج الآخرين أو أن يدعى المعرفة وهو لا يعقلها ، أو يأخذها من غيره وينسبها اليه ، وقد طرحت هـذه القضـية قديما ، ولاتزال تطرح مادام يوجـد من يدعى العلم الجاهل به ، ويأخذ البعض أفكار غيرهم وعلوم سـواهم وينسبونه لأنفسهم فيقول طرفة :

ولا تذكر الدهر فى مجلس حديثا ، اذا أنت لم تحصه

ونص الحـديث الى أهله فان الوثيقة فى نصه(٦٥)

فهو ينصح ألا يتكلم الانسان فى مجلس عن الدهر ووقائعـه وأخباره ، اذا لم يكن عنده علم ومعرفة بمثل هـذه الأخبار والحوادث لأن لسان المـرء هو الذى يحكم عليه ، ولفظه يميزه عن غيره ، ويوضح علمه ومعرفته من جهله قال زهير بن أبى سلمى :

وكائن ترى من صامت لك معجب
زيادته أو نقصـه فى التـكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم(٦٦)

فـذلك الثرثار الذى يتحـدث فيما لا يعـرفه ، لا تتشبه به ، والا ستكون مثله .

ثم يتعمق طرفة أكثر ويثير هـذه القضية المهمة التى شغلت ـ كما أسلفنا ـ بال الكثير من العلماء والنقاد منـذ القدم الى يومنا هـذا والى ما بعـده ، وهى قضية الأمانة العلمية ، وأمانة البحث ، فاذا نقل الباحث نصا من النصوص فالأمانة العلمية تقتضى أن يذكر صـاحب النص ، ويشير الى مصادره ، والا عـد سارقا ، وسرقة العلم أكبـر وأشد من سرقة الأموال ، وهـذا ما فهمته من قول طرفة وهو يشـير

---

(٦٥) راجع ديوان طرفة بن العبد ص ٩١

(٦٦) راجع ديوان زهير بن أبى سلمى ص ١١١ ط دار الكتب العلمية وشرح المعلقات العشر للشنقيطى ص ٥٠ .

الى قضية « السرقات الأدبية ، وانتحال الأشعار وغيرها من العلوم والمعارف » فى هذا البيت :

ونص الحديث الى أهله فان الوثيقة فى نصه(٦٧)

ومضمون هذا البيت لابد من رد الحديث الى أصوله والعلم الى صاحبه ، وقد بدأ البيت بفعل الأمر « نص الحديث » ، وقد جاء فى كتب اللغة « نص الشىء رفعه ، وبابه رد ومنه (منصة) العروس ... ونص الحديث الى فلان رفعه اليه ... »(٦٨) .

ومن ثم يجب على الباحث الثقة والناقل الأمين والمتعلم التقى ، أن يرد المعرفة الى أصحابها ، فان كان متحدثا أو خطيبا يقول مثلا : « روى فلان عن فلان ، أو قرأت فى كتاب كذا لمؤلفه فلان ... » ، وان كان كاتبا لابد من ذكر أصول النصوص التى ينقلها الى بحثه من غير أن يحرفها أو يمسخها ، ويذكر المصادر التى وردت فيها ، ولا ينسبها لنفسه .

وقضيه السرقات الأدبية وردت فى معظم الكتب النقدية مثل : العمدة لابن رشيق ، والنقد المنهجى عند العرب للدكتور محمد مندور ، وتاريخ النقد والبلاغة للدكتور محمد زغلول سلام ... وهناك من الكتب من حمل نفس الكلمة « السرقات » مثل كتاب « سرقات الشعراء »

---

(٦٧) ديوان طرفة بن العبد ص ٩٤ .

(٦٨) مختار الصحاح للرازى ورتبه محمود خاطر ص ٦٦٢ .

لعبد الله بن المعتز ، وسرقات أبى تمام لأحمد بن أبى طاهر ، وسرقات البحترى لأبى الضياء بشر بن تميم ، وكذلك الآمدى والجرجانى وغير هؤلاء من العلماء والنقاد ، ولا ننسى كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى .

ولا أريد أن أدرس هنا قضية السرقات الأدبية التى لفت اليها نظرنا طرفة ، والمتهم فى نفس الوقت عند بعض النقاد بالسرقة ، فى بيته الشهور :

وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجلد(٦٩)

أنه أخذه من قول امرىء القيس :

وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتحمل(٧٠)

ولكن صاحب الصناعتين يقول : « انه لم يأخذه ، ولكنه وقع له ، كما وقع للأول ، « كما سئل أبو عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى ... فقال عقول رجال توافت على ألسنتها .. »

---

(٦٩) ديوان طرفة بن العبد ص ٣٢ .

(٧٠) ديوان امرىء القيس ص ١١١ ، ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافى ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان بدون تاريخ .

ويذكر بيت طـرفة ، وبيت امرىء القيس .. ثم يقول « فغـير طرفة القافية »(٧١) وقد سماه « قبح الأخذ » .

ومن أراد المزيد عن هـذه القضـية فعليه بكتب الأدب والنقـد وهى كثيرة جـداً(٧٢) .

ومما يدل على أن طرفة أتى على لسانه ما جاء على لسان امرىء القيس ، وأنه لم يسرقه منه ، ما قاله طرفة فى موضع آخر من ديوانه يقول فى هـذا المعنى :

ولا أغير على الأشـعار أسرقها
عنهـا غنيت وشر النـاس من سرقا
وان أحسن بيت أنت قـائله
بيت من الشعر اذا أنشدته صدقا(٧٣)

---

(٧١) راجع : كتاب الصـناعتين لأبى هلال الحسـن بن عبد الله العسـكرى تحقيق مفيد قميحة ص ٢٤٩ ط دار الكتب العلميـة بيروت لبنان سنة ١٩٨٤م .

(٧٢) راجع فى ذلك كتب النقد ومنها :

(أ) العمدة لابن رشيق القيروانى .

(ب) أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى .

(جـ) المثل السائر لابن الأثير .

(د) النقد المنهجى عند العرب د. محمد مندور .

(هـ) تاريخ النقد والبلاغة د. محمد زغلول سلام .

(و) فى محيط النقد الأدبى د. ابراهيم أبو الخشب .. وغيرها من الكتب التى تحدثت عن هذه القضية .

(٧٣) ديوان طرفة بن العبد ص ١٠٠ .

وكأنه سئل عن مثل هـذا البيت فى شعره ، أو هناك من اتهمه بالسرقة من شعر غيره ، فأجاب عن الأسئلة ، ورد الاتهام ، وقطع الشك باليقين ، وقال « ولا أغير » ، وانظر الى التعبير وقوة دلالته ، صور ذلك الأخذ من نتاج غيره بالتغير على حق غيره ، وجاء بلفظ السرقة ، الذى لم يعرفه النقاد الا بعد أن نشأت الخصومة بين أبى تمام وغيره من الشعراء ، أيهما أفضل ، ومن تعصب له ومن تعصب لغيره .

يقول الدكتور محمد مندور : « ... استعمال ذلك اللفظ «سرقات» اذ استعمل النقاد المجردون عن الهوى ألفاظ أخرى كالأخذ التى نجدها عند ابن قتيبة فى غير موضع من الشعر والشعراء .. ، وأما لفظة سرقات فقد ذاعت وسط الخصومة حول أبى تمام بين أنصار القديم وأنصار الحديث »(٧٤) .

ومن ثم فقد سبق طرفة غيره — حتى من النقاد — فى هذه القضية ولفت اليها الأنظار ، فتتبعها النقاد وفتلوها بحثا فى القديم والحديث أمثال « ابن طاهر وابن هفان والصولى ، وابن وكيع التنيسى والحاتمى مما دفع جماعة آخرين من النقاد الى أن ينبهوا الرأى العام الأدبى الى ذلك الاسراف وتلك المغالاة التى اندفع اليها أولئك النقاد وراء شهوة البحث عن السرقات فى مظانها وغير مظانها ، وقد دفع ذلك

---

(٧٤) راجع النقد المنهجى عند العرب د. محمد مندور ص ٣٥٨ ط دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة بدون تاريخ .

أمثال : الآمدى والجرجاني الى اعادة النظر فى موضوع السرقات الشعرية ، ودفع مثل : ابن رشيق الى أن يقول فى كتاب المنصف لابن وكيع التنيسى فى سرقات المتنبى ... »(٧٥) .

وكما نرى فهى قضية قديمة حديثة ، واكتفى بما ذكرته عنها هنا حتى لا أردد ما قاله السابقون .

ثم نسير مع الشاعر فى هذه الأبيات الرائعة ، فنراه يذكرنا بتقلبات الدهر ، ومهما كان الانسان حريصا لا يجدى حرصه أمام القدر ، فربما ينجو الغافل ، ويقع الحذر ، ويؤتى من مأمنه ، واسمع طرفة ، وهو يصوغ لنا هذه الحكمة :

ولا تحرصن فرب امرئ
حريص مضاع على حرصه
وكم من فتى ساقط عقله
وقد يعجب الناس من شخصه
وآخر تحسبه أنوكا
ويأتيك بالأمر من فصله(٧٦)

انه يذم الحرص والبخل ، الحذر والخوف ، ويهيب بالفرد أن يكون قويا شجاعا ، ويعيش بحرية وكرامة ، فحرصه لا يغير من

---

(٧٥) راجع : تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجرى د. محمد زغلول سلام ص ٧٠ ، ٧١ ط منشأة المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٨٢م .

(٧٦) راجع ديوان طرفة بن العبد ص ٩٤ : ٩٥ .

القـدر شيئا ، وسيقع المكتوب مهما ابتعد عنـه الانسان ، « فـرب حريص مضاع ، وكم من فتى تحسبه ساقط العقل ، ولكنه حكيم ، واذا قال رأيا كان صوابا ، وأخذ به الناس ، وهـذه المعـانى تذكرنا بقول الامام الشافعى ـ رحمه الله ـ :

تموت الأسد فى الغابات جوعا
ولحـم الضـأن تأكله الكلاب
وعبـد قـد ينام على حـرير
وذو نسب مفارشه التراب(٧٧)

وهكذا الأيام والأقدار ، فعلام الحرص والخوف والحذر ؟ ! وأرى أن هـذه دعوة من طرفة الشاب الى الاستمتاع بملذات الحياة والجرى وراء الشهوات ، وأن يعيش المـرء ساعته ، ويغتنم ما فى عمره من أيام قبل أن يهلكه الدهر ، وهى دعوة لا ينبغى المرء أن يعمل بهـا لأنها تدعو الى التفريط ، وعدم تقـدير الأشياء حق قدرها ، والفكر السليم يدعو صاحبه الى التريث والى الحذر بقدر ما يستطيع « ولا تلقـوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا »(٧٨) .

فاذا جاء ما يكرهه من هـذا الجانب فيكله الى خالقه ـ تعالى ـ ولذلك قالوا :

---

(٧٧) راجع : ديوان الامام الشافعى ص ١٦ . تحقيق لجنة احياء التراث . نشر مكتبة عالم الفكر ـ القاهرة سنة ١٩٨٤م .

(٧٨) سورة البقرة من الآية رقم ١٩٥ .

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع(٧٩)

والفطرة السليمة تبتعد عن الخطر وأماكن الشر بقدر ما تستطيع ، فإذا وقع المحظور والمكروه فقد نفذ السهم ، وسبق السيف العذل ـ كما يقولون ـ وإذا كانت النجاة فهذا ما يطلبه المرء ويتمناه .

وكذلك كم من فتى لا تحسبه على شيء ، ولا يعبأ به أحد من الناس ، ولكنه عاقل ومجرب للأمور ، وان طلبت منه نصيحته ومشورته ، جاءك بالفائدة ، والرأى الصواب ، وقد تعجب منه لأنك لا تعتقد أن مثله يكون بمثل هذه العقلية ، والأنوك هو : الأحمق .

ثم يلخص هذه الحكم ، ويردها الى أصولها فيقول : انها من تجاربى فى الحياة ، ومن خلال معاناتى لها ، فقد لبست الليالى ، وسربلنى الدهر ، وجعلنى قميصا له .

من حكم طرفة فى معلقته :

بداية نقول : ان معلقة طرفة بن العبد تعد من أجود شعره ، ان لم تكن من أجود شعر العرب ، وقد وضع ابن سلام طرفة فى الطبقة الرابعة لقلة شعره بأيدى الرواة ، ولكنه قال فيه : « انه أشعر الناس واحدة وهى قوله : « لخولة أطلال ... »(٨٠) .

---

(٧٩) راجع : جمهرة أشعار العرب للقرشى ص ٣١٤ . قدم لها على قاعور ط. دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٩٩٢م .

(٨٠) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٥٨ ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٨م .

ويقول ابن قتيبة عن هذه المعلقة : « هو أجود الشعراء لطويلة ... »(٨١) .

ويقول ابن رشيق فى عمدته « طرفة أفضل الناس واحدة عند العلماء وهى المعلقة ... »(٨٢) .

وقد ذكر كل من ابن قتيبة وابن سلام هذا الخبر عن شاعرية طرفة بن العبد ، والنص هنا لابن قتيبة « قال أبو عبيدة : مر لبيد - الشاعر المعروف - بمجلس لهند بالكوفة ، وهو يتوكأ على عصا ، فلما جاوزهم ، أمروا فتى منهم أن يلحقه ، فيسأله من أشعر العرب ؟ ففعل ، فقال له لبيد : الملك الضليل ، يعنى امرأ القيس ، فرجع فأخبرهم ، قالوا ألا سألته : ثم من ؟ فرجع فسأله فقال : ابن العشرين ، يعنى طرفة ، فلما رجع قالوا : ليتك كنت سألته : ثم من ؟ فرجع فسأله فقال : صاحب المحجن يعنى نفسه ، قال أبو عبيدة : طرفة أجودهم ... »(٨٣) ، يعنى أحسنهم وأفضلهم فى شعر المعلقة ، والدليل على هذا الرأى أننى عثرت على خبر فى تاريخ الطبرى ، وهو وان لم يكن كتابا نقديا ، لكنه يعتد به ويؤخذ ، لأنه صدر - هذا الخبر - من رجل أديب لخليفة أديب ذواقة ، وهو المهدى ، ونص هذا الخبر كما ورد فى المرجع المذكور « .. وسأل المهدى

---

(٨١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٠٣ تحقيق مفيد قميحة وآخرين .

(٨٢) العمدة لابن رشيق ص ٦٥ جـ ١ والعصر الجاهلى د.عبدالرحمن عبد الحميد ص ١٦٨ .

(٨٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٠٦ ، والطبقات ص ٤٢ .

يوما أبا عبيـــد الله ، عن أشعار العرب ، فصنفها له ، فقال : أحكمها قول طرفة بن العبـــد :

أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد

الى قـــوله فى المعلقة :

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى لكا لطول المرخى وثناياه باليد(٨٤)

ويذكر الدكتور خفاجى فى دراســـته عن طرفة هـــذا الخبـــر : « .. ويقول ابن مقبل فى طرفة : هو أشعر الناس ، وكذلك يروى عن النضر بن شميل ، أما أبو عمرو بن العلاء م ١٥٤هـ فـــكان يقول : أشعر الناس أربعة : أمرؤ القيس ، والنابغة وطرفة ومهلهل ، ويقول قتيبة بن مسلم : أشعر الجاهلية ، امرؤ القيس وأضربهم مثلا طرفة ، ويقول لبيد بن ربيعة : الشاعر الجاهلى المعروف : أشعر الناس : الملك الضليل ، ثم الشاب القتيل ، ثم الشيخ أبو عقيل ، وأشاد به وبشاعريته جرير ، والأخطل ، كما ذكره المرزبانى فى كتابه الموشح ... »(٨٥) .

وقد كثر حديث النقاد والأدباء عن هـــذه المعلقـــة فى القـــديم والحديث ، وهـــذا دليل على قيمتها الفنية ، وما تشتمل عليه من درر غالية لذلك فان « طرفة فضل بمعلقته على سائر الشـــعراء ، وهـــذا التفضيل يعود الى ما فيها من تصوير صادق لحياته البدوية ، وما يتخلله من الآراء والحكم والفوائد التاريخية »(٨٦) .

---

(٨٤) تاريخ الطبرانى ج ٦ ص ١٨٤ .

(٨٥) أعلام الشعر الجاهلى د. خفاجى ص ٢٢ : ٢٣ .

(٨٦) راجع أدباء العرب ـ بطرس البستانى ج ١ ص ١٢٧ .

انها فلسفة طرفة البدائية النابعة من ظروف العصر وملابساته ، ومن طبيعة الحياة القبلية التى تحتاج الى نظريات وآراء ترسم لها الحدود والشرائع التى ينبغى أن يتحرك سلوك الأفراد من خلالها ، وبهذه الآراء التى رسمها طرفة فى « الحياة والموت » ، وعلى اضطهاد عشيرته له ، وعلى غير ذلك مما يتعلق بحياته ، وهو أهم أقسام هذه المعلقة ، فلا خولة ولا ناقته تجذبنا اليه ...

وانما طرفة بنفسه دون غيره ، .. بتشكيه وتظلمه يحملنا اليه أو يحمل ذاته الينا فنحس باحساسه نأسى لألمه ، ونبتهج لحماسته ونضحك لسروره ، فحياته فى شعره لها أثر قوى فى توجيه هذا الشعر (٨٧) الذى يحمل بين طياته صدق الشعور وفطرة النفس وعمق التصوير ، وبساطة التعبير ما يفيض عليه من الجمال ، ويضمن تقريبه الى القلوب فى كل زمان ومكان ، لأنه يحمل نفس المشاكل التى يعانى منها الجنس البشرى ، وهذا ما يطلق عليه شعر الحكمة فهى قول صائب يستمد من ظروف الحياة بعبارات موجزة ، « هى بمعناها اللغوى السابق » العلم النافع والفقه فى شئون الحياة ، بتعرف الحق فيها ، وامضائه ... »(٨٨) .

وأول ما نلتقى به هنا من شعر الحكمة فى معلقة طرفة قوله :

---

(٨٧) السابق ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٨٨) تمهيد التاريخ الفلسفة الاسلامية الأستاذ مصطفى عبد الرازق ص ١١٨ ، ١١٩ ، ط القاهرة سنة ١٩٦٦م .

أرى قبـــــر نحام بخيل بماله
كقبـــر غوى فى الطائة مفسد
ترى جثوتين من تراب عليهمـا
صـفائح صم من صفيح منضد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشـــــدد
أرى العيش كنـزا ناقصا كل ليلة
وما تنقص الأيام والدهر ينفـد
لعمرك ان الموت ما أخطـأ الفـتى
لكا لطول المرخى وثنياه باليـد (٨٩)

انها توجيه عام لكل البشر ، فالبخيل والسخى سيموتان ويدفنان فى التراب والفقير والغنى سيتركان الحياة ويدخلان القبر بغير مال ولا عقار ، فعلام البخل والضن بما فى الأيدى ؟ وعلام التهالك والتطاحن فى جمع الأموال من حـلال وحرام ؟ ولمـاذا يظلم الأقـوياء ذويهم الصغار أو الضعفاء ؟ ، كل هـذه ربما كان يكنها طرفة فى صـــدره ويريد أن يوجهها الى هؤلاء ، فقبل أن يتكلم عن ظلم أقاربه له ســاق

---

(٨٩) ديوان طرفة بن العبد ص ٤٨ ، مفردات : نحام : حريص على الجمع والمنع ، الغوى : الغاوى الضال ويقصد به المسرف ، الجثوة : الكومة من التراب ، صفح منضـد : الحجارة العريضة ، يعتام : يختار ، عقلية : الكريمة ، كنزا ويروى أرى العمر ، وأرى الدهر ، والمقصود بالكنز الشيء الثمين ، الطول : الحبل .

هـذه الأبيات فى فلسفة الموت ، وما بعـده ، وهـذا ما تفسره المقابلة بين النحام البخيل ، وبين الغوى ، فالنحام هو الحـريص على الجمع والمنع ، الغوى الغاوى الضال ويريد به من يبعثر ماله وينفقـه على ملذاته وشهواته ، فكلا الرجلين الحريصين على جمع ماله ، البخيل به والذى لا يقيم له وزنا وينفقه سيموت ويدفن تحـت كومة من التراب ولا يأخذ الحريص منـه شـيئا فعلام الشح ؟ !

ويسوق طرفة فى البيت الثانى دليلا شـاهدا للعيان ، ويسوقه بهذه الصيغة المؤثرة فى النفس حيث يوقفك أمام القبرين ويقول لك ما ذى ترى ؟ وسرعان ما يتولى الواقع المشاهد عنك الاجـابة « ترى جثوتين من تراب ••• البيت » •

فهل تستطيع أن تفرق بين القبرين ، وأن تتعرف على البخيـل والمسرف ، كلا ! ! ثم يحارب طرفة البخل والشح فيقول : ان القبـر لا يترك هـذا البخيـل والموت كذلك لا يترك السخى المسرف ، فمن خلال تجربتى أن الموت يختار الكرام والمنبة حتما ستأتى على الكريم والبخيل ، وأيضا فانها تختار كرائم أموال البخـلاء ويصطفى الموت أنفس ما لديهم ، ورغم بخله لا يستطيع أن يقاوم الموت ولا يقف فى وجـه القدر •

وقد ذكر العربى على صـفة الكرم والبذل ، وتباهى بانفـاقه الطارف والتليد على ملذاته وشـهواته الشخصية ، أو على الآخـرين من الضيفان وعابرى السبيل فى ذلك الليـل المظلم وتلك الصـحراء القاحلة ، والقصة التى ذكرها الحطيئة فى شعره « وطاوى ثلاث » وفيها

يذكر لنا أنه أراد أن يذبح أحد أبنائه ليكرم الضيف عندما لم يجد فى بيته ما يقدمه له لأكبر دليل على هذا المعنى(٩٠) .

ولما جاء الاسلام حثنا على الكرم والسخاء والانفاق فى سبيل الله ، بل جعله قرضا الله تعالى ، وجعل جزاء الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة الى ما لا يحصيه الا الله تبارك وتعالى ، واقرأ ان شئت « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ... »(٩١) .

هذا فى مقام العطاء والانفاق ، أما فى مقام البخل والشح والحرص فاقرأ ان شئت قصة أصحاب الجنة الذين بخلوا على الفقراء ان الله تبارك وتعالى قد أنزل عليها ما أحرقها وجعلها كالصريم « انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ... الى أن يقول الله تعالى « عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون .. »(٩٢) .

والآيات التى تحدثت عن السخاء والكرم وكذلك البخل والشح

---

(٩٠) راجع : مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العدد الثامن ص ٢٧٦ : ٣٠٥ بحث للدكتور أحمد أحمد منصور « قصيدة الحطيئة وطاوى ثلاث » .

(٩١) سورة البقرة آية رقم ٢٦١ .

(٩٢) سورة القلم من الآية ٧ الى ٢٢ .

كثيرة ، ويكفى هـذا الانذار أو النصح فى قوله تعالى : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »(٩٣) • فى الدنيا والآخرة •

وفى الحديث الشريف : عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم اعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر ، اللهم اعط ممسكا تلفا »(٩٤) •

ونحن فى سياقنا لهذه الأدلة من الكتاب والسنة والعادات العربية القديمة لا نقر طرفة على الاسراف أو نوافقه على التبذير ، ولكننا نقر حكمته فى نهاية الأمر وهى استقرار الانسان فى التراب ودخوله القبر بلا مال أو جاه ، فالبخيل والمسرف يستويان أمام هـذا القدر المحتوم ، والكل يهال عليه التراب ، فعلام الحرص ؟ ! !

ونأتى الى هـذه الحكمة الثمينة التى يجب أن نلتفت اليها خاصة ونحن فى عصر التقدم الذى يقدر الوقت بل جزء الثانية ، فطرفة فى العصر الجاهلى يقول :

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة
وما تنقص الأيام والدهر ينفد

---

(٩٣) سورة الحشر من الآية رقم ٩ •

(٩٤) والحديث متفق عليه راجع رياض الصالحين للامام النووى ص ١١٢ ط الكنانة الاسلامية بيروت القاهرة •

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى
لكا لطول المرخى وثنياه باليد (٩٥)

قال صاحب شرح المعلقات : « أرى العيش كنزا .. الخ » هذه رواية ابن السكيت ، وروى الخطب أرى الدهر ، وروى أرى العمر .. » وأتفق مع الرواية التى تقول « أرى الدهر ، أو أرى العمر ، لأنها أتم للمعنى ، وتوضح ما يقصده الشاعر هنا ، وكذلك النقص يتحد مع الدهر أو العمر ولكن أثبتنا هنا « العيش » على سبيل المجاز ممن معانيه المجازية العمر « انقطع عيشه أى انتهى عمره وفارق المكان وقد « شبه البقاء بكنز ينقص كل ليلة ، ومالا يزال ينقص فان مآله الى النفاذ ، فقال : وما تنقصه الأيام والدهر ينفد لا محالة ، فكذلك العيش صائر الى النفاد لا محالة ... »(٩٦) .

وهذا بمثابة التنبيه للغافلين والذين لا يقيمون وزنا للوقت أو الزمن ، فيقول لهم اغتنموا العمر فى العمل والجد والمثابرة فان الزمن يمر والعمر كل ليلة ينقص فلا تفرطوا فى مثل هذا الكنز الثمين فان مصيره الى النفاد .

ولذلك حدثنا فى البيت الثانى وبدأه بالقسم « ان الموت لم يخطىء الفتى الحى والذى على قيد الحياة ، ولكنه طوقه بحبل فى عنقه يجذبه به اذا حان أجله والمعنى « أقسم بحياتك أن الموت فى مدة اخطائه

---

(٩٥) راجع ديوان طرفة بن العبد ص ٤٨ .
(٩٦) شرح المعلقات العشر للشنقيطى ص ٣٦١ .

الفتى أى مجاوزته اياه بمنزلة حبل طويل للدابة ترعى فيه ، وطرفاه بيد صاحبه ، يريد أنه لا يتخلص منه ، كما أن الدابة لا تفلت مادام صاحبها آخذا بطرفى طولها ، لما جعل الموت بمنزلة صاحب الدابة التى أرخى طولها ، قال : متى شاء الموت قاد الفتى لهلاكه ، ومن كان فى حبل انقاد لقوده ... »(٩٧) .

فعلينا أن نحرص على الوقت وأن نفنى العمر فيما يفيد ، الطالب فى مذاكرته والصانع فى مصنعه والفلاح فى حقله ، والأستاذ فى درسه ... وسوف يحاسبنا الله تعالى عن هذا العمر فيما أفنيناه :

دقات قلب المرء قائلة له أن الحياة دقائق وثوانى

وهكذا كانت حكمة طرفة صاحب العمر القصير والذى بلغ بعمله ونتاجه الأدبى مالم يبلغه الشيوخ ومن عمروا طويلا ، فطول العمر لا يقاس بالسنين ولكن بالعمل المثمر لأن الانسان لا يملك من أمر نفسه شيئا ، واسمع الشاعر وهو يلخص لنا هذا المعنى :

متى ما يشأ يقده لحتفه ومن يك فى حبل المنية ينقد(٩٨)

أى حكمة هذه التى صدرت من رجل عاش فى عصر لا يحتكم الا الى السيف ، ولا يحترم الا الشجاع ولا يعيش الا على النهب

---

(٩٧) راجع : شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ٨٥ وطرفة بن العبد سيرته وشعره ص ١٠٩ .

(٩٨) ديوان طرفة ص ٤٩ .

والسطو على الآخرين ، انها قضية الموت التى لفتت نظر طرفة المظلوم، وفلسفته تجاهها ، فالموت قادم لا محالة ، اذا أراد هلاك الفتى لم يمتنع منه ولا يستطيع أن يقاومه ، بل ينقاد اليه مرغما ، فأين قوتكم ؟ !

وبعد أن يتكلم الشاعر عن الموت والدهر وأن الإنسان لا يستطيع الافلات منه مهما كانت قوته ، يطرح لنا القضية الأساسية فى هذه المعلقة ، أو سبب انشاده لها ، وهى قضية الظلم ، يقول أحد الباحثين : « وساء طرفة أن يعرض عنه أهله فتركهم ... وحمله أخوه معبد على رعاية ابله فأهملها ... فأنبه معبد وقال له : ترى ان أخذت تردها بشعرك هذا ؟ فقال طرفة : « لا أخرج حتى تعلم أن شعرى يردها » ولم يطل الأمر حتى أخذت الابل فألح عليه أخوه بردها ، فلجأ طرفة الى ابن عمه مالك ليعينه على استرجاعها من آخذيها ، وكانوا قوما من مضر ، فانتهره مالك بعنف فتألم الشاعر ، ونظم معلقته ، واصفا حاله ، وجور أهله عليه ... »(٩٩) .

فأبت نفسه أن تصبر على الضيم فى أنفتها وشموخها وشدة احساسها فأقرب الناس اليه هما أخوه معبد وابن عمه مالك أبيا أن يساعداه ، بل كانا أشد الناس وقيعة به ، ومن ثم تفجرت من هذه النفسية المحطمة والروح المكاومة ينابيع الشعر ثائرة على الظلم

---

(٩٩) راجع أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام ، بطرس البستانى ج ١ ص ١١٥ ، ١٢٣ ، ط دار مارون عبود سنة ١٩٧٩م بيروت لبنان .

مسلخطة على الأقوياء مستهينة بالموت والحياة ، وليس للشاعر غير فنه يمسكن به آلامه ، ويبث شكايته ويرد عن نفسه ... »(١٠٠) .

واسمع الشاعر يقول عن ظلم الأقارب :

بلا حدث أحدثته وكمحدث
هجائى وقذفى بالشكاة ومطردى
فلو كان مولاى امرءا هو غيره
لفرج كربى أو لأنظرنى غدى
ولكن مولاى امرؤ هو خانقى
على الشكر والتسآل أو أنا مفتد
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند(١٠١)

وقبل هذه الأبيات يقول طرفة فى معلقته أيضا — عن ابن عمه هذا :

فمالى أرانى وابن عمى مالكا
متى أدن منه ينأ عنى ويبعد
يلومنى وما أدرى علام يلومنى
كما لامنى فى الحى قرط بن أعبد

---

(١٠٠) المرجع السابق .
(١٠١) ديوان طرفة بن العبد ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .

وأيأسنى من كل خير طلبته
كأنا وضعناه الى رمس ماحد(١٠٢)

فمثل هذه الأبيات فى معلقته تحمل الشكوى ، وتبحث عن الأسباب والدوافع التى من أجلها طرد وظلم ، انها نفثة كل مظلوم ، فحياته فى شعره لها أثر قوى فى توجيه هذا الشعر ، وضم روحه الى أرواح قرائه ... والشعور الصادق عامل رئيسى للفن ، يبعث النشاط فى النفس ... وكل عمل فنى فانه الشعور لا يستحق أن يعد من أبناء الحياة ، وليست النشوة التى تحدثها حياة الفن نغما موسيقيا يجمع بين الشعور والخيال والادراك وتتولى الألفاظ اخراجه فى الشعر، ومن ثم جاء شعر طرفة صورة صادقة عن حياته فى اتحاد هذه القوى النفسية ، وسيطرة الاحساس عليها ، فأثر شعره فى كل من يقرأه أو يسمعه ، ومن منا يسمع هذه الأبيات ولا ينفعل بها ، ويتأثر بما تحمل من تعبيرات صائبة ؟ ! !

واذا كنا نعلم أن طرفة قال هذه الحكم فى مجتمع قبلى لا ينظر الا الى القوة ولا يحتكم الا الى السيف ، وبين أناس تنشب الحرب بينهم لأتفه الأسباب :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا

تلك العصبية العمياء التى ترى اهانة الجار أو الحليف أو العبد المنسوب اليها اهانة لها ، ولا تهدأ الا بعد أن تشعلها نارا ، ولو مات

---

(١٠٢) المرجع السابق .

الجميع ؟ ! فمجتمع هـذا منطقه وتلك عاداته وتقاليده ، وطرفة يهينه أقرب الناس اليه ، ويظلمه أعمامه بلا حدث ولا جريرة ، أو خروج على عادات القبيلة ، فلابد لمثل هـذه الحادثة المروعة والفريدة من نوعها فى نظر صاحبها أن تتفجر مثل هـذه الحكم ، ويصوغ لنا ما يمكن أن يكون قانونا البشرية حيث يقول :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

فالظلم فى حـد ذاته مكروه ، ولا يقره أى مجتمع ، حتى وان كان لا يعترف بالرسالات السماوية وعدم الاعتراف به يرجع الى الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، لا فرق بين الكافر والمؤمن ، ويتضح ذلك اذا وقع الظلم بين أى طائفة وأخرى ، أو بين فرد ضعيف وآخر قوى ، فسرعان ما تثور الطائفـة القوية أو الفـرد القوى لرد الحق ، ومنع الظلم ، وهـذا كان متفشيا فى العصر الجـاهلى بصورة واضـحة ، واسمع الى قول زهير بن أبى سلمى :

ومن لم يزد عن حوضـه بسـلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم(١٠٣)

فاذا كان تأثير الظلم الذى يقع على الفرد من الأعداء قويا ومؤلما ، ويجعل الانسان يلقى نفسه فى الهلاك فمـا بالك اذا وقـع الظلم من الأقرباء وذوى الأرحام ؟ ! • هـذا ما حدث لطرفة • فقد ظلمه أعمامه ،

---

(١٠٣) راجع ديوان زهير بن أبى سلمى ص ١١١ ، شرحه وقدم له الأستاذ على حسن قاعور ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٨م •

ومن كان يرجو منهم العون والمساعدة ولو كان ظالمـا ، ولكنه اندهش عندما رأى الأمر معكوسا ومن طمع فى مساعدته تجنى عليـــه وغمطه حقه بلا ذنب أو جريرة ، فكان هـذا الظلم ووقعه على نفسية طـرفة أشد من ظلم الأعداء أو الغرباء ، وهـذا ما جعـله ينطق بمثل هـذه الحكمة ، ويصوغ هـذا الشعر الذى لايزال جديدا رغم كر الأيام ، ويرى كل انسان ظلمه أعوانه وأقاربه ، أو جار عليه أهله ومن يرجو منهم النصفة من الأصدقاء ، أنه يتكلم بلسانه ، ويطرح قضيته منـذ هـذا الوقت الغابر « فظلم الأقارب أشد تأثيرا فى تهييج نار الحزن والغضب من وقع السيف القاطع المحدد المطبوع بالهند » .

أما اذا وقع الظلم من غيرهم فمن الممكن أن يثأر الانسان لنفسه ، أو يجد من المبررات ما يسكن هـذا الغضب والحـزن ولو الى بعض الوقت ، ولكن من أخيه وابن عمه ، فهذا ما جعل ظلمه أشد من موته وهلاكه وضربه بالسيف البتار ، لأنـه يموت فى كل يوم مـرات كثيرة « ويأتيه الموت وما هو بميت ... » .

وقبل هـذا البيت الذى يقول فيـه الشـاعر « وظـلم ذوى القربى ... » يذكر لنا الشاعر المبـررات التى قال من أجلهـا هـذا الكلام ، ويذكر الحيثيات التى بسببها أصدر هـذا الحكم ، فقال بلا يحدث أحدثته وكمحدث .. » أى بلا ذنب وبلا جريرة ، وأجفى وأهجر وأضام من غير حدث اساءة أحدثته ثم أهجى وأشكى وأطرد ، كما يهجى من أحدث اساءة وجر جريرة وجنى جناية » فهذا غير منطقى ولا يقره العقل السليم ، فكيف أحاسب على ذنب لم أقترفه ؟ !

ثم يطرح الشاعر خواطره النفسية والشخصية تجاه هذه القضية لعله يجد تفسيرا لما حدث فيذكر لنا ما حدث منه عندما رعى الابل وسرقت منه ، ولو كان ابن عمه مالك يحبه ويتقرب منه ويرعى حرمة الرحم لما طلب منه هو وأخوه ردها ، ولساعداه فى الحصول عليها ، ولو كان صاحبها غيره لتجاوز عنها أو لأعطاه مهلة لردها ، أو دفع عنها ، ولكن كما قال طرفة ، فلو كان مولاى ... الخ والمعنى : فلو كان ابن عمى غير مالك لفرج كربى أو لأمهلنى زمانا الى أن ينكشف الكرب ويذهب الضيق والغم ، ولكن ابن عمى رجل يضيق على الأمر حتى كأنه يأخذ على متنفسى على حال شكرى اياه وسؤالى عوارفه وعفوه ، أو كنت فى حال افتدائى نفسى منه ، وهو لايزال يضيق الأمر على سواء شكرته على آلائه أو سألته بره وعطفه ، أو طلبت تخليص نفسى منه »(١٠٤) .

وبعد ذلك لا يجد مبررا منطقيا ، على ذلك اللوم والبعد ، فكلما تقرب الشاعر من ابن عمه تباعد وكلما أراد صلته قطعه ، انه يستغرب على هذه المعاملة القاسية ، فمالى أرانى وابن عمى متى تقربت منه تباعد عنى ؟ وعلام يلومنى مالك ، ولا أدرى ما السبب الداعى الى لومه اياى ، كما لامنى هذا الرجل فى القبيلة ، يريد أن لومه اياه ظلم صراح ، كما كان لوم قرط اياه كذلك وبهذا قد أيأسنى مالك من كل خير رجوته منه ، حتى كأنى وضعت رجائى الى قبر رجل ميت مدفون فى لحده ، فكما أن الميت لا يرجى منه الخير ، فكذلك ابن عمى لا يرجى

---

(١٠٤) راجع شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ٨٦ ، ط دار القلم لبنان بدون تاريخ .

خيره أو هو بالنسبة لى قـد مات ، وباليته مات ودفن حتى لا يلحقنى منـه ضرر أو ظلم كما فعل من قبل .

وهـذه أبيات فى آخر المعلقة وكأنها تلخيص لما مر بها من عبر وحكم يقول طرفة :

أرى الموت أعـداد النفوس ولا أرى
بعيدا غـدا ما أقرب اليوم من غـد
لعمـرك ما الأيام الا معـارة
فما اسطعت من معروفها فتـزود
عن المـرء لا تسأل وأبصر قرينه
فان القرين بالمقـارن يقتـدى
ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبـار من لم تـزود
ويأتيك بالأخبار من لم تبـع له
بتاتا ولم تضرب له وقت موعد(١٠٥)

والبيت هنا يذكرنا بقول قـراد فى قصته المشـهورة مع المـلك النعمان فى يوم بؤسه ، وقد ضمن قراد بن أجدع الرجل الطائى الذى كان النعمان يريد ذبحه ، فلما بقى على قتل الطائى يوم ، قال النعمان لقراد : ما أراك الا هالكا غدا فقال قراد :

---

(١٠٥) ديوان طرفة ص ٥٦ ، ٥٧ .

فان يك صدر هذا اليوم ولى فان غدا لناظره قريب(١٠٦)

فطرفة هنا يرجع الى فلسفته فى الموت ويقول انه يعد النفوس لغد وهو قريب جدا ولا تظن أنه بعيد ، والدليل على ذلك هذا القسم فى البيت الذى يليه وهو يقسم بأن الأيام معارة وسوف ترجع لواهبها وصاحبها وهو الخالق جل جلاله ، أو سوف تصير الى غيرك فيأخذ حظه ونصيبه منها فعليك اذا علمت أنها مأخوذة منك ، وصائرة الى غيرك فاغتنم الفرصة وتزود من معروفها واعمل الخير وابتعد عن الظلم فهذا خير لك .

وقد ذكر الشنقيطى هذا الخبر حول البيت « أرى الموت ... » فقال « قوله أرى الموت أعداد النفوس ... الخ لم يروه الخطيب ، ورواه ابن السكيت والأعلم ، قال الأصمعى : حدثنى رجل من أهل أضاخ ، قال : قدم علينا جرير فقلنا له : من أشعر الناس فقال : الذى يقول : (بعيدا غدا ما أقرب اليوم من غد) وزاد الخطيب بيتين ، وقيل انها لعدى بن زيد وهما :

« لعمرك من الأيام ... » ، « عن المرء لا تسأل ... »(١٠٧) .

هذا ما ذكره صاحب شرح المعلقات العشر ، ولم يذكر ذلك

---

(١٠٦) راجع الأدب والنصوص للدكتور محمد مهدى علام وآخرين ص ١٢٩ .

(١٠٧) شرح المعلقات العشر للشنقيطى ص ٣٩ ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٣م .

الزوزنى صاحب شرح المعلقات السبع ، وقد وجدت البيتين المشار اليهما فى الديوان ، ولهذا أثبتهما هنا ، لأنهما يحملان حكمة طرفة وفلسفته فى الحياة ، والتى جعلت منه حكيما رغم صغر سنه ، ويحكم على الأشياء من خلال ظروفه الخاصة ونفسيته المحطمة من أقاربه وظلمهم اياه ، ويقدم لنا هنا صفة الصديق المخلص فهو يتغلغل داخل صديقه ، ويجعله صورة منه فى الظاهر والباطن ، فاذا أردت أن تعرف انسانا ، فاسأل عن أصدقائه وأخلائه ، « فالصديق يقتفى أثر صديقه فى أخلاقه وعاداته ومعاملاته ولذلك قالوا :

فارغب بنفسك لا تصادق أحمقا
ان الصديق على الصديق مصدق(١٠٨)

ومن ثم ورد فى الحديث بعد طرفة « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل »(١٠٩) .

وهذه الحكمة لا تتغير ولا يمكن أن تكون وقتية ، ولكنها صالحة لكل زمان ومكان ، لأن الانسان مقلد غيره بفطرته ويكتسب من الآخرين بعض الصفات والعادات وخاصة الأصدقاء ، والأمثلة كثيرة فى عصرنا وفى غيره من العصور ، ونعوذ بالله من بطانة السوء والصديق الفاجر ، وصدق رسول الله — ﷺ — عندما يقول : « انما مثل الجليس الصالح

---

(١٠٨) قائل هذا البيت صالح بن عبد القدوس راجع الأدب العربى وتاريخه على محمد العماوى وآخرين ص ١٤٥ ، ط الأزهر سنة ١٩٧٤م

(١٠٩) هذا الحديث عن أبى هريرة — رضى الله عنه ، ورواه أبو داود والترمذى باسناد صحيح راجع رياض الصالحين للنووى ص ١٣٢ .

وجليس السوء • كحامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك ، اما أن يحذيك ، واما أن تبتاع منه ، واما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير، اما أن يحرق ثيابك ، واما أن تجد منه ريحا منتنة •• » متفق عليه(١١٠) •

والقرآن الكريم يعطينا هذه الصورة المجسمة عن الصديق السوء ــ ونعوذ بالله منه ، واقرأ ان شئت فى سورة الفرقان : « ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى ، وكان الشيطان للانسان خذولا •• »(١١١) •

أرأيت الحسرة والندم على هذه الصداقة التى كانت سببا فى الخسران ؟ انه شيطان الانس الذى زين لصديقه السوء فانقاد له ، وألقى مصيره بين يديه ، ففكر بفكره ، ونظر بعينه ، وسلك طريقه ، وسار حسب هواه ــ ولا نطيل أكثر من هذا ، والآيات والأحاديث التى تبين هذا المعنى كثيرة وينهى الشاعر هذه المعلقة الرائعة التى هى أجود ما قالته العرب ، كما قال ذلك النقاد ــ وأشرنا اليه من قبل ــ

---

(١١٠) السابق ص ١٣٢ •

(١١١) سورة الفرقان الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، هذا وقد ورد هذا البيت عن عدى بن زيد فى مجمهرته التى ذكرها أبو زيد القرشى ونصه :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرن بالمقارن يقتدى

راجع : جمهرة أشعار العرب للقرشى ص ٢٣٢ ، ط دار الكتب العلمية بيروت •

بهذه الحكمة التى تبين أن الأيام والليالى كفيلة بتوضيح الأمور ، وكشف المستور ، ومن يعش فى هذه الدنيا سوف يعرف ما غاب عنه من أحوال نفسه وأحوال غيره ، ويأتيه بمثل هذه الأخبار من لم يتكلم معه فيها أو يزوده بها هو ، ولكن من شدة انتشارها يقولها له من لم يطلبها منه ، وكذلك يأتيه بها من لم يخالطه أو يشترى له متاع المسافر ، فالأيام ستطلع الانسان عما غفل عنه ، كما أنها ستنقل اليه أخبار من لم تزوده بها ، وسيأتيه بأوقائع ذلك البعيد عنه ولم يخالطه أو يعاشره ، ولم يجد له وقتا لنقل هذه الأنباء اليه ، وهكذا كانت حكمة طرفة ثمرة تأمل بعيد المرامى ، ونتيجة تجربة قصيرة خاضها فى الحياة ، ولكنها طويلة فى معاناته .

من الخصائص الفنية فى شعر الحكمة عند طرفة بن العبد :

أولا ــ من حيث اللفظ :

فى البداية نقول : ان النقاد العرب القدامى نظروا الى بلاغة الألفاظ باعتبارها منفصلة عن المضمون الشعرى ، وفصلوا لذلك بين اللفظ والمعنى ، وقسموا الشعر أحيانا على أساس هذه النظرة فكان لديهم شعر حسن لفظه ومعناه ، وشعر ساء لفظه ومعناه ، وشعر حسن لفظه وساء معناه ، وشعر ساء لفظه وحسن معناه الى غير ذلك من التقسيمات التى تفصل بين اللفظ والمعنى فصلا تعسفيا(١١٢) ...

---

(١١٢) راجع : الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق د. مفيد قميحة ص ٢١ : ٢٤ بتصرف .

وأيضا فى النقد الأدبى عند العرب د. محمد طاهر درويش ص ١٧٤ وما بعدها (بتصرف)

كما أنهم بدئوا فى بلاغة اللفظ وفصاحته بحثا منفصلا عن طبيعة العمل الفنى فاشترطوا فى الكلمة عدة شروط لو صحت فيها لأصبحت صالحة للتعبير بها فى أى غرض وفى أى زمان ، ولذلك صح لديهم أن بعض الألفاظ تصلح للشعر ولا تصلح للنثر •

ولم يلتفت النقاد القدامى الى ما التفت اليه المحدثون فى الغرب، من أن الألفاظ كائنات حية تولد وتتغير كسائر الكائنات الحية ، وأن منها ما يبلغ به التحول حـدا بعيـدا بحيث يصبح من المعنى السابق كالنقيض من نقيضه ، وأن الكثرة الغالبة من الألفاظ ليست مجرد رمـز لفكرة ، وانما تحمل الى جانب ذلك الكثـير من المشاعر والصور التى يجب أن يكون الشاعر حريصا على استغلالها ، كما ربطوا بين اللفظـة والقصيدة ربطا شديدا ، توصلوا به الى أن اللفظة لا يحكم عليها بأنها شاعرية أو غير شاعرية الا بمقدار تعبيرها عن الشعور أو الاحساس الذى يريد الشاعر التعبير عنـه ، ومن غير أن نفصلها عن جـوها فى القصـيدة •

ومن خلال هذه النظرة رأينا طرفة فى شعره الحكمى قد استعمل معجمه اللغوى وهو عبارة عن مجموعة مفردات وتراكيب لغوية وضع فى اطار شعره ، فكانت اللفظة عنده معبرة عن شعوره وقوته ، كاشفة عن فكره ، مصورة خياله الذى يتراءى له أو تفرضه عليه الأحداث ، وكانت هـذه اللفظة منسجمة مع التركيب الشامل والموسيقى الداخلية، يقول د• خفاجى « يجمع طرفة بين العذوبة الجميلة ، والحوشية المعقدة فى ألفاظه ، فاذا وصف رأيت ألفاظا بعيدة غريبة قوية ، واذا فخر أو هجا رأيته يقرب من السهولة والوضوح فى لفظه ، واذا أرسل الحكمة

رأيت جمالا وسلاسة وسهولة والظاهر أن مرجع ذلك هو حياة الشاعر الشعرية فقد بدأ في صغره ينظم الشعر يصف به مشاهد الطبيعة ... ثم خبر الحياة وطاف في الأرجاء وشاهد ألوانا من التفكير والآراء ، فكانت شاعريته قد كمل نضجها ، فبدأت ألفاظه تسلس وتسهل وتقرب من ذوق البدوي المتحضر الذي بعد عن حياة الخشونة ومظاهر الأعراب(١١٣) ...

ان طرفة في شعره جاهلي مغرق في الجاهلية لغة وأسلوبا ، فهو شديد التمسك بمذهب قومه في تركيب القصيدة ، ورغم ذلك نرى ألفاظه تتباين وتختلف من غرض الى آخر بل في الغرض الواحد ، وان شئت فقل من قصيدة لأخرى ، فمرة تأتي سهلة ، سلسة واضحة ، وأخرى خشنة غريبة تحتاج الى معجم لغوي ليوضح معناها ، وهذا شأن الشاعر القوي الذي يعبر بصدق عن مشاعره وحياته التي يعيشها .

وقد تباينت ألفاظه في تلك الحكم التي صاغها في شعره معبرا عن تجربة حياتية عميقة ، وكان من ثم انسانا وهو يبسط آراءه في لهجة اعترافية بعيدة عن التمويه ، ومهما يكن فيها من خلال في تفهم حقيقة الحياة ، ومن اغراق في المادية ، فهي آراء نابضة بالحياة شديدة الالتصاق بشخصية صاحبها(١١٤) ...

---

(١١٣) أعلام الشعر الجاهلي د. خفاجي ص ٢٦ ، ٢٧ (مرجع سابق).

(١١٤) طرفة بن العبد سيرته وشعره ، حسن جعفر ص ١٣١ ، مرجع سابق .

وكان سبيله الى ذلك تلك الألفاظ التى ألبسها الحياة ، انظر مثلا اليه وهو يحدثنا عن زوال الحياة ، وأن المرء سوف يحاسب على أعماله فيقـــول :

فكيف يرجى المـــرء دهرا مخـــلدا وأعماله عما قليل تحاسبه(١١٥)

هـــذا التناسق بين الألفاظ والفكرة التى يريد طرحها ، بين الدهر الزائل ، والخلود الذى يرجوه المـــرء ؛ وبين الأعمال وبين الحســـاب الذى ينتظر الانسان ، انه جعل الأعمال هنا ، حاكما صارما ، وقاضيا عدلا ، فالألفاظ هنا سهلة معبرة نرى من خلالها ما يجول فى صـــدر الشاعر ، ثم يولى وجهه شطر التاريخ ويورد قصة لقمان ذلك المعمـــر ويذكر نسوره وبعـــد ذلك يأتى بهذا اللفظ « غابت ، وكواكبه » انـــه توظيف الألفاظ لأداء هـــذه الرســـالة فى الحيـــاة ، ثم نرى الألفـــاظ « الصعب ، الخطوب ، بانت » وكلها ألفاظ موحيـــة تدل على عبقرية طرفة فى اختياره لقاموسه الشعرى .

أما عنـــدما يحدثنا عن الظلم فنرى فى ألفاظه القـــوة والخشونة لأنه ينذر من ظلموه ، ولذلك جاءت ملائمة لغرضـــه هـــذا ، ولم تكن مستكرهة ، يقول فى تلك الأبيات التى مطلعها :

والظلم فرق بين حيى وائل بكر تساقيها المنايا تغلب(١١٦)

وارجـــع الى هـــذه الكلمـــات فى مكانها من النص « ويقشب ،

---

(١١٥) ديوان طرفة بن العبد ص ٦١ .
(١١٦) الســـابق ص ٥٦ .

وقراف من لا يستفيق ، سيغوانى ، ما غال عادا ، أشعبوا ، تفر لكم » وهـذه الألفاظ قوية ، وتحتاج فى توضيحها الى معاجم اللغة .

أما فى مجال النصح وتقديم النصيحة فنراه يعبر بألفاظ سهلة ، ربما تقترب من اللغة الفصيحة الشائعة على ألسنة الجمهور فى مثل هـذه القصيدة التى مطلعها :

اذا كنت فى حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه(١١٧)

وعندما يحدثنا الشاعر عن الموت خاصة فى المعلقة نراه يكثر من استخدام لفظ الفعل « أرى » ،يجعل المتلقى يرى معه أيضا فهـذا ينقل لنا صورة حية ومشاهدة ، كذلك يستخدم بعض الألفاظ الغريبة التى ربما لا يعرفها الكثير مثل قبر نحام بخيل ، وترى جثوتين ، الطول المرخى .. الى آخر هـذه الألفاظ

ومن ثم نحكم على ألفاظ طرفة بأنها كانت قوية يبدو عليها طابع البداوة ، والخشونة فى مواطن قليلة ، وكانت جملة متينة التركيب ، بعيدة عن التعقيد والالتواء ، تميل الى الايجاز ، كذلك كشفت هـذه الألفاظ عندما أحسن الشاعر اختيارها عن قوة عاطفته وتدفقها ، وقد أدى ذلك الى توضيح أفكاره واقناعها ، وقد لاحظنا فى شعر الحكمة عند طرفة ما يشبه وحـدة الموضوع ، فمـدار حكمته حـول : الموت والظلم ، وكر الأيام والدهور ، وماذا ننتظر من رجل وشـاب تجرى

---

(١١٧) السـابق ص ٩٤ .

فى عروقه فتوة الشباب ، وقد مات أبوه وتركه صغيرا يرجو العون والمساعدة ليكون لبنة صالحة فى قبيلته ويدافع عنها ، فيجد العكس ويظلمه أقرب الناس اليه .

أسلوب طرفة فى حكمته :

أسلوب طرفة قوى جزل رصين يمتاز بالمتانة وأسر اللفظ وفخامة الأسلوب وقوة القافية مع سهولتها ، نجد فيه جزالة وقوة فى كثير من شعره ، ورقة وسهولة فى بعض غزله وفى حكمته ... وفى غالب الأحايين نجد وضوحا ودقة تصوير وجمال تعبير ، وقرب مأخذ ، وسهولة عرض ، ورشاقة بيان .. »(١١٨) .

وكذلك أسلوبه يختلف فى شعره الحكمى من غرض لآخر ، فأسلوبه فى الحكمة التى يتحدث فيها عن الموت غير أسلوبه فى الحكمة التى يتحدث فيها عن الظلم ، — كما مر بنا — لأن الأسلوب هو « الصياغة اللفظية التى تشف عن المعانى والأخيلة التى يعبر بها الشاعر عن المضمون ، وهو — كذلك — القالب الفنى الذى يصب فيه الشاعر معانيه وأفكاره مستجيبا لتكوينه الفنى الذى وجهته اليه بيئته .

والشاعر الصادق — كطرفة — تنساب من بين شفتيه الألفاظ المناسبة لشعوره وأخيلته ، ومعانيه فى الشكل الذى يتلاءم مع البيئة التى نشأ فيها فنيا واجتماعيا ، ولذلك كانت أساليب الشعر مرآة

---

(١١٨) راجع أعلام الشعر الجاهلى د. خفاجى ص ٢٧ ط مكتبة الحسين التجارية سنة ١٩٤٩ م .

تعكس مضمونه وأخيلته فهما متلازمان ترى فى الألفاظ ما يحسه الشاعر ، وتتعرف من أحاسيس الشاعر على طبيعة الألفاظ(١١٩) .

واسمع الشاعر وهو يثير فينا هذا الاحساس بالظلم من خلال هذا البيت :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند(١٢٠)

ان أسلوب طرفة في هذا البيت وفى غيره من شعر الحكمة يتميز بعبقرية نظم الكلام وتأليفه وجعل الكلمة تاليه لأختها التى يجمعها واياها نسب ، ويضمهما شبه فى الفكرة ، ويقرب ما بينهما الجنس الواحد ، وبهذا جعل من يقرأ هذا الشعر — رغم بعد الزمن — ينفعل الانفعال الصادق ، وشعوره يتدفق كما يتدفق الماء من النهر منسابا من غير عسر ولا صعوبة .

وطرفة فى أسلوبه هذا كالمهندس الذى يقسم الأبعاد ، ويوازن بين الأبعاد ، ويضع اللبنة المناسبة فى مكانها المناسب ، وانظر الى « وظلم ذوى القربى » و « أشد مضاضة » ، ثم يأتى بهذه الحقيقة الواقعية المنتزعة من بيئته « على المرء من وقع الحسام المهند » . فأسلوب طرفة فى حكمته أبرز حسن الكلام وأظهر جماله ، وأعلنه

---

(١١٩) راجع : الأدب العربى بين البادية والحضر ، د. ابراهيم عوضين ص ٣١٧ .

(١٢٠) راجع ديوان طرفة بن العبد ص ٥١ ، ط دار صعب بيروت لبنان .

متكامل القسمات ، متناسق الجنبات وأضح الروعة كأنما خلع عليـــه الفن عبـــاءته .

الخيـــــال والفـــكرة :

أما خياله فهو « خيال يقظ مشبوب حاد ، يحلق قريبا من الحياة والواقع ، وهـذا الخيال يظهر فى أسلوب الاستعارة والتشبيه أحيانا ، ويجنح الى القصد والاعتدال والصدق وفى معانيـه معـان مكرورة متقاربة الخيال ، وطرفة على أى حال من المقلين فى الشعر ومعلقتـه سبب شهرته(١٢١) .. ولكن من يدرى ، لعل فى ذاكرة الزمن قصائد كثيرة من نظم طرفة ، قـد ضاعت ولم تسجل فى دفتر التاريخ .

ان الشاعر فى خياله كان فطريا مع نفسه يتركها على سـجيتها عندما يعبر عن انفعالاتها ، والانسان فى غير موقف الأداء الفنى يلجأ الى القفز وتداعى المعانى ، بل الى التكرار ، وترديد المعنى الواحـد فى أكثر من موضع ، والدليل على ذلك حديث طرفة عن الموت مثلا فقد ذكره أكثر من مرة ، فنراه فى المعلقة ثم يذكره فى أبيات غيرها فيقول مثـــلا :

ولقـــد بدا لى أنه سيغولنى
ما غال « عادا » والقرون فأشعبوا(١٢٢)

---

(١٢١) راجع : أعلام الشعر الجاهلى د. خفاجى ص ٢٨ .
(١٢٢) ديوان طرفة بن العبد ص ٦٠ .

ويقول فى أبيـات أخرى :

أرى الموت لا يرعى على ذى قـرابة
وان كان فى الدنيا عزيزا بمقعد(١٢٣)

وجاء فى المعلقـة :

أرى الموت يعتـام الكرام ويصطفى
عقيـلة مال الفاحش المتشـدد
لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى
لكا لطول المرخى وثناياه باليـد(١٢٤)

ومع امكان القول بأن هـذه الظاهرة تشكل عيبا فنيا بمقيـاس النقـد الحديث اذا كانت فى قصيدة واحـدة ـ كالمعلقة مثلا ـ لكن هـذه المؤاخذة ليست حادة بالنسبة للشعر القـديم من جهة ، ومع ذلك نستطيع أن نقول : هناك وحدة نفسية وشعورية فى حديث الشاعر بمثل هـذه المعانى المكرورة ، وهى التى أقنعت طرفة أن خيـاله ومنهجـه سـليم .

وبهذا الخيال الخصب ، وضح الشاعر أزمته النفسية التى تلـح عليه وتعذب أعماقه ، وفى الوقت نفسه كشف عن متانة أخلاقه وشموخ طبعه ، ثم بعـد ذلك أحس أنه لابد له من حركة فى فعل يخرج بهما من حصار أزمته النفسية ، فاتجه الى موتك يشاركه مأساته بعـد أن فقد

---

(١٢٣) ديوان طرفة بن العبد ص ٦٩ .
(١٢٤) المرجع السابق ص ٤٨ .

النصير وتنكر له الأقارب ، فلم يجد الا مثل هذه التفاتات المؤثرة والتى صاغها بخياله الجامح تعبيرا عن شعوره واحساسه •

ورغم ذلك فان طرفة فى سلسلة آرائه لا يخلو من بعض التسلسل ، وهو يحاول أن يدعم الرأى الراجح بالحجة ، وخياله فى تعبيره حسى تشبيهى ، يسلك فيه أحيانا مسلك الاغراب ، ولكن يغلب عليه السهولة والصفاء خاصة فى شعر الحكمة — وهذا ما يهمنا هنا — وينتهج نهج الهدوء الذى تثقله الفكرة ويخيم عليه القلق الحزين •

وأخيرا نقول : ان طرفة استمد خياله من البيئة التى عاش فيها ، أو رحل اليها ، فجاء خياله خصبا ، وانتزع من الواقع تشبيهاته واستعاراته وكناياته ، فقرب المعنى الى الذهن وجعل العاطفة تتأجج ، والنفس البشرية تنفعل بصدق وحماس •••

أما قافيته وهى الموسيقى الخارجية فقد كانت مؤثرة أيضا ، واختار الأوزان ذات الرنين المؤثر والقافية القوية مثل حرف الدال فى المعلقة وكذلك حرف (الصاد) •

وقد تعانقت الموسيقى الخارجية والداخلية على نقل مشاعر طرفة وأحاسيسه لا الى عصره فحسب بل الى كل من يعيش فى مثل ظروفه ، ويقع عليه ظلم من أقاربه ، فيحس بأن طرفة يتكلم عن قضيته ، وكأنه يعيش معه ، وكل هذا بفضل الخصائص الفنية والأدوات التعبيرية التى وظفها طرفة لتجعل شعره حيا خالدا على مر العصور وكر الأيام من مثل : اختيار الألفاظ المناسبة ، والبراعة فى تنوع الأسلوب والخيال الخصب الواسع ، والتجربة الحية الصادقة والمعاشة من قبل الشاعر •

آراء بعض النقاد فى الحكمة الشعرية لدى طـرفة :

ذكر الدكتور خفاجى فى دراسته القيمة عن الشاعر كثيرا من آراء النقاد فى شعر طرفة بن العبد ، ومما ذكره عن شـعر الحكمة هـذا النص « وكان النبى ـ ﷺ ـ يتمثل بقول طرفة ، ولا يقيم وزنه ـ وهـو ـ :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبـار من لم تزود

وكان ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ يقول : انه كلام نبى يجمع الحكمة والمثل ، ويقال ان أمير شعره قوله :

قد يبعث الأمر الكبـير صـغيره حتى تظل له الدماء تصبب(١٢٥)

ويقول فى موضع آخـر : الحكمة وهى كثيرة فى شـعر طرفة ، عميقة رائعة ، تدل على صدق النظر وقوة الفراسة ، وعلى ثقوب الذهن، وحدة الفكر ، وهى مبكرة فى طرفة الشاب ، ولعل أسفاره ورحلاته ، وبيئته وقربه من ألوان الحياة والتفكير فى الحيرة ، قد نمتها فيـه رغم صغر سنه ، ... من صادق حكمه وبعيد فراسته ، وتفكيره ونظـره للأمور وحكمه عليها(١٢٦) .

---

(١٢٥) راجع : أعلام الشعر الجاهلى ص ٣٦ ، د. عبد المنعم خفاجى ودكتور عبد السلام سرحان ط . مكتبة الحسـين التجارية ـ أولى ـ سـنة ١٩٤٩م .

(١٢٦) نفس المرجع السابق ص ٣٣ : ٣٤ .

ويذكر السيوطى أن قتيبة بن مسلم يقول : « أشعر الجاهلية امرؤ القيس ، وأضربهم مثلا طرفة »(١٢٧) .

ويقول صاحب الجمهرة « هو أشعرهم — أى طرفة — اذ بلغ بحداثة سنه ما بلغ القوم فى طول أعمارهم فخب وركض معهم ... بل جعله فى الطبقة الثانية مع لبيد والأعشى ، وقال ابن مقبل : طرفة أشعر الناس .. والقول عندنا ما قاله أبو عبيدة : امرؤ القيس ثم زهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو وطرفة ... »(١٢٨) .

ويفتتح الدكتور خفاجى دراسته عن الشاعر بقوله « طرفة شاعر صاحب شخصية واضحة فى شعره ، وصاحب مذهب واضح فى حياته ... وشاب جمع الى فتوة الشباب وطيشه حكمة الشيوخ وتفكيرهم ، ويعجب النقاد والمستشرقون به وبشخصيته وشعره اعجابا شديدا ، وشعره صورة واضحة لحياته كل الوضوح ، بما كان فيها من مطامح وآلام وأحداث(١٢٩) .

بل جعله أحد الباحثين من أشهر شعراء الحكمة ، وربما فاق زهيرا ، اذ يقول : « طرفة بن العبد أحد الشعراء الذين لفتوا نظر الأدباء والكتاب لما أحدثه من ثورة عارمة على كثير من قيم الجاهلية

---

(١٢٧) راجع : المزهر جـ ٢ ص ٢٩٨ للسيوطى وراجع طرفة بن العبد سيرته وشعره ص ٣٨ ، حسن جعفر نور الدين .

(١٢٨) جمهرة أشعار العرب ص ٩٧ ، ١٠٥ لأبى زيد القرشى ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

(١٢٩) راجع : أعلام الشعر الجاهلى د. خفاجى ص ٤ (مرجع سابق)

وموازينها ، وقد قمت بدراسة ميدانية على نتاج طرفة ، فأحطت بمعظم قصائد الديوان ، ودرست فنونه الشعرية ومعلقته دراسة مفصلة ، واتضح لى أن طرفة شاعر حكمى تجاوز معاصريه بأشواط ، وأن تلك الارهاصات الحكمية والفلسفية التى أعلنها كانت شيئا جديدا فى عصره، كان عمر طرفة ــ القصير ــ خصبا وغنيا .

وكثيرون هم الذين لا يعمرون كثيرا ، ولكنهم يتركون بصماتهم واضحة على جبين التاريخ ، سواء كانت سلبا أم ايجابا ، وكثيرون هم الذين يعمرون ولكنهم عندما يموتون يدفن تاريخهم معهم ، لأنهم عاشوا على هامش الحياة .

عاش طرفة عمرا قصيرا جدا ، واكن لا نغالى اذا قلنا ان ما كتبه وهو ابن عشر وابن عشرين يفوق بأفكاره وتطلعاته ونظراته ما كتبه زهير وهو ابن ثمانين ... »(١٣٠) ؟ !

ــ والا ــ فما ظنك بحدث لم يتجاوز عمره خمسة وعشرين ربيعا ، ولاتزال الأجيال المتعاقبة على ما بينها وبينه تروى شعره ، وينشده الناس فى المجامع ، ويستشهد به أرباب اللغة ، ذلكم هو طرفة ابن العبد .. »(١٣١) .

---

(١٣٠) راجع : طرفة بن العبد . سيرته وشعره ص ٣ : ٤ ، اعداد حسن جعفر نور الدين ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٠ م .

(١٣١) الأدب والنصوص لعبد الحميد حسن وآخرين ص ٢٤ ، ط وزارة التربية والتعليق سنة ١٩٥٨م .

ويذكر باحث آخر أن « شـــعر الحكمة موجود عنـــد أغلب الأمم القديمة ... واشتهر العرب منذ الجاهلية بشعر الحكمة كطرفة وزهير ابن أبى سلمى(١٣٢) ...

ويقول بعض النقاد « طرفة بن العبد ... هو الشاب الذى انهالت عليـــه المصـــائب فأبرزت شخصيته ، وأنطقته بالحكمة التى نثرها فى ديوانه ، فـــكانت مصبوغة بصبغة الوعى والحنكة ، ومدار حكمته على زوال الحياة واصطناع الخير ، ثم على حسن المعاملة ، وعلى التصرف بعقل وفطنة ... »(١٣٣) .

ومن ثم عبر الشاعر عما تنطوى عليـــه نفسه من احساس بظلم أقاربه ، وقد أشار فى معلقته الى ما كان بـــين قبيلتى بكر وتغلب من حرب وعداء وتطاحن ، وقد تعرض لهذه الحرب شعراء آخرون وأشاروا اليها فى أشعارهم ومنهم زهير بن أبى سلمى والحارث بن عباد والمهلهل، ولكن طرفة يضع أيدينا على السبب الحقيقى الذى انتزعه من حيـــاته الخاصة والواقع الذى عاشه فيقول :

والظلم فرق بين حيى وائل بكر تساقيها المنـــايا تغلب

انه يرد هـــذه الحرب وذلك الدمار الى الظلم وترك الانصاف ،

---

(١٣٢) المفصـــل فى الأدب ، اعداد محمـــد التنوخى جـ ٢ ص ٥٥٥ ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٣م .

(١٣٣) الحكم والأمثال : يشترك فى وضعها لجنة من أدباء الأقطار العربية ص ٢٦ ، ط دار المعارف مصر .

وهـذه حقيقة ثابتة فى الحياة فلو أنصف الناس ، ما شب الخـلاف بينهم ، وما استفحلت الخصومات والمنازعات .

ان حكمة طرفة ثمرة تأمل بعيد المرامى ، ونتيجة تجربة قصيرة لخاضها فى الحياة ، وقد وردت عدة قصائد حكمية فى ديوانه تكشف عن نظرة عميقة بالكون والوجود ، وتثبت أن الومضات الحكمية فى الشعراء لا تصنعها الأعمار الطويلة فقط ، بل تصنعها الظروف النفسية والأزمات الحياتية والاجتماعية ... » (١٣٤) .

ويقول بطرس البستانى عن حكمة طـرفة « انها فلسفة طـرفة البدائية النابعة من ظروف العصر وملابساته ، ومن طبيعة الحيـاة القبلية التى تحتاج الى نظريات وآراء ترسم لها الحـدود والشرائع التى ينبغى أن يتحرك سلوك الأفـراد من خلالها وبهـذه الآراء التى رسمها طرفة فى الحيـاة والموت .. (١٣٥) . عاش طـرفة ، وعاش شعره معنا » .

وبهذه الآراء التى ذكرناها للنقاد عن حكمة طرفة ــ هنا أو فى ثنايا هـذا البحث نرى أن طرفة من شعراء الحكمة المبرزين ، وأنه نال شهرة واسعة فى الوسط الأدبى ، قديما وحديثا ، وأن عمره القصير لم

---

(١٣٤) راجع : طرفة بن العبد سيرته وشعره ص ٧٤ اعداد جمعة نور الدين ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

(١٣٥) راجع أدباء العرب : بطرس البستانى ج ١ ص ١٢٧ وما بعدها ط دار مارون عبود سنة ١٩٧٩م .

يكن حجر عثرة فى طريق الابداع الفنى فى هـذا الاتجاه ، بل خبم وركض مع فحول الشعراء وذوى الأعمار مثل زهير ولبيد وغيرهما •

وطرفة ان لم يتفوق عليهم ، فهو لا يتخلف عن شعراء الحكمة ، بل يشار اليه بالبنان ، وان الظروف التى أحاطت بالشاعر فى حـرمانه حقوقه بعـد موت أبيه ، وهو صـغير قـد جعلته يفكر فى الحيـاة وصروفها وشدائدها تفكير من جـربها ، وأحس مرارتها ، ووقعها على النفس ، فمثلا يشير الى الظلم وعواقبه الوخيمة ، وما يجره من تفريق للجماعة ، وما يلجىء اليـه من ركوب الصعب من الأمور ، ثم يشـير الى الاثم والبر والصدق والكذب والى المتصفين بكل ذلك ، ثم يتعرض الحقيقة التى يغفل عنها كثير من الناس وقت الرخاء والأمن ، وهى أن الموت بالمرصاد لهم جميعا ، وسيأخذهم على غرة ، ويغتالهم كما اغتال من قبلهم •

وهكذا جاءت حكمة طرفة من نبع ثرى فاض بعـد أن امتـلأ بما تعطى الحياة ، والقبيلة وعاداتها فى الظلم والعدل والصدق والكذب ، وما تعطيه تلك النظرة اليقظة الفاحصة فى الكون ، من رفض للظلم واباء للضيم ، وكذلك هـذه الظواهر الكونية التى لا تتخلف ولا تفرق بـين بنى البشر كالموت مثلا •

فحكمة طرفة من صميم حياته ، ومن شـكوى الأقارب والحيـاة بشكل عام ، والشكوى تجدها عنـد كل الناس الذين يمرون بظروف مثل ظروفه ، انها وليدة تجارب أسرة ، وخبرات نمتها الحياة ، وعقلية تلتقط الحوادث ، فتنتفع بها وتأخذ منها العبرة والعظة لها ولغيرها من البشر •

« من أهم مراجع البحث »

١ ــ أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام ، حياتهم آثارهم ، نقد آثارهم ، بطرس البستانى ــ ط دار مارون عبود ، سنة ١٩٧٩م .

٢ ــ الأدب فى العصر الجاهلى د/ عبد الرحمن عبد الحميد ط الصباح للطباعة والنشر سنة ١٩٧٨م .

٣ ــ أعلام الشعر الجاهلى ، د. محمد عبد المنعم خفاجى ، د. عبد السلام سرحان ط محمود توفيق مكتبة الحسين ــ طبعة أولى سنة ١٩٤٩م .

٤ ــ تاريخ الطبرى ــ تاريخ الرسل والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى . تحقيق/ محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط : دار المعارف ــ طبعة رابعة سنة ١٩٧٩م .

٥ ــ تاريخ النقد الأدبى والبلاغة ــ حتى القرن الرابع الهجرى ــ د. محمد زغلول سلام ، ط : منشأة المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٨٢م .

٦ ــ تفسير الشعراوى ــ خواطر فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى حول القرآن الكريم ــ المجلد الأول ص ٦٦٣ ، راجع أصله وخرج أحاديثه د. أحمد عمر هاشم ، ط أخبار اليوم القاهرة سنة ١٩٩١م .

٧ ــ تفسير القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ج ٢ ط : دار الغد العربى سنة ١٩٩٦م .

٨ ــ جامع العلوم والحكم • تأليف : زين الدين أبى الفرج بن رجب الحنبلى ط دار الدعوة ــ بدون تاريخ •

٩ ــ الحكمة فى شعر المتنبى د• يسرى محمد سلامة • ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٨١م •

١٠ ــ الحكم والأمثال (فنون الأدب العربى) يشترك فى وضع هذه المجموعة لجنة من أدباء الأقطار العربية ــ تصدرها دار المعارف بمصر ــ بدون تاريخ •

١١ ــ ديوان امرىء القيس ، ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافى ط دار الكتب العلمية ــ بيروت •

١٢ ــ ديوان زهير بن أبى سلمى ، شرحه وقدم له • على حسن قاعور ط دار الكتب العلمية ــ بيروت سنة ١٩٨٨م •

١٣ ــ ديوان الشافعى ــ رحمه الله ــ تحقيق ومراجعة لجنة احياء التراث ــ بمعرفة الناشر • نشر مكتبة عالم الفكر ــ القاهرة سنة ١٩٨٤م •

١٤ ــ ديوان طرفة بن العبد ــ حققه المحامى فوزى عطوى ط دار صعب بيروت سنة ١٩٨٠م •

١٥ ــ ديوان النابغة الذبيانى ــ شرح وتقديم عباس عبد الساتر ط دار الكتب العلمية ــ بيروت سنة ١٩٨٦م •

١٦ ــ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للامام النووى ــ منشورات دار الكتاب الاسلامية بيروت ــ القاهرة ــ بدون تاريخ •

١٧ ــ شرح المعلقات السبع ــ تأليف أبى عبد الله الحسين بن أحمد الزوزنى ــ ط دار القلم ــ بيروت •

١٨ ــ شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ــ اعتنى بجمعه الأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطى ط دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان ط أولى سنة ١٩٩٣م •

١٩ ــ شعراء النصرانية قبل الاسلام ــ لويس شنجو البوسعى ط ثانية دار الشروق ــ بيروت لبنان •

٢٠ ــ الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى ــ تحقيق د• مفيد قميحة، نعيم ذرزور • ط دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان سنة ١٩٨٥م ط ثانية •

٢١ ــ طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى ، مع تمهيد للناشر الألمانى (جوزف هل) مع دراسة عن المؤلف والكاتب للمرحوم : طه أحمد ابراهيم ، ط دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان سنة ١٩٨٨م •

٢٢ ــ طرفة بن العبد ، سيرته وشعره (الأعلام من الأدباء والشعراء) اعداد الأستاذ/ حسن جعفر نور الدين ، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٩٩٠م ط أولى •

٢٣ ــ العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده ــ ابن رشيق القيروانى ــ ط دار الجيل بيروت لبنان سنة ١٩٨١م ، طبعة خامسة •

٢٤ ــ كتاب الصناعتين ــ الكتابة والشعر ، تصنيف أبى هلال الحسن ابن عبد الله بن سهل العسكرى ، تحقيق د• مفيد قميحة • ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٩٨٤م ، طبعة ثانية •

٢٥ ــ لسان العرب ــ لابن منظور (جمال الدين) ط دار المعارف بمصر ــ تحقيق عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلى ــ بدون تاريخ •

٢٦ ــ مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العدد الثامن سنة ١٩٨٨م ، بحث للأستاذ الدكتور أحمد أحمد منصور تحت عنوان « قصيدة الحطيئة وطاوى ثلاث ، دراسة تحليلية نقدية » •

٢٧ ــ المعجم المفصل فى الأدب ، اعداد محمد التونجى ــ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٩٩٣م •

٢٨ ــ المعجم الوجيز ــ مجمع اللغة العربية ــ طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم بمصر سنة ١٩٩١م •

٢٩ ــ مفاتيح الغيب ، أو التفسير الكبير • للامام فخر الدين الرازى ــ المجلد الثالث ط دار الغد العربى طبعة أولى سنة ١٩٩٣م •

٣٠ ــ النقد المنهجى عند العرب ومنهج البحث فى الأدب واللغة ، د• محمد مندور ط• دار نهضة مصر للطبع والنشر ــ الفجالة القاهرة ــ بدون تاريخ •